محمد علي أسبر



دار الأصالة
للطباعة والنشر



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أبو طالب عملاق الإسلام الخالد

محمد علي أسبر

أبو طالب عملاق الإسلام الخالد



الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م



أبو طالب شاعر الإسلام

أبو طالب شاعر الإسلام الأول يَزْرَعُ في مسامع الدهر على امتداد عمر الدهر نشيده الخالد:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ من خير أديانِ البريَّةِ دينا

وَيَشْهَدُ لابنِ أخيه مُحمد بالنبوَّة المقدَّسَة فيقول له:

أَنْتَ النَّبيُّ مُحَمَّدُ قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ
ما زلتَ تنطق بالصوا بِ، وأنت طِفْلٌ أَمْرَدُ

وَيُشْهِدُ اللَّهَ - يُشْهِدُ السَّماءَ والأرضَ على اعْتَناقه دينَ الإسلام وإيمانه العميق الصادق بنبوة محمد /ص/ فيقول معتزّاً بأنوارِ الهدى المتوهِّجَةِ في قلبه:

يا شاهدَ اللَّهِ عليَّ فاشْهَدِ أني على دينِ النبيِّ أحمدِ
مَنْ ضَلَّ بالدين فإني مُهتدي

أبـو طالب بن عبد المطلب
عَمُّ رسول الله ﷺ
وعملاق الإسلام الخالد

* * *

قال رسول الله: «ما نالت قريشٌ منِّي شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

«متفق عليه»

* * *

«يا أبا طالبٍ!! فَدَتْـكَ السَّجايـا
من مُجيرٍ، سَمْحِ الجنان نَصُورِ
يُؤْثِـرُ الـطِّفْـلَ بـالـطَّعـامِ سَخيًّـا
وبـدِفْـءٍ من الفِـراشِ الـوَثيـرِ»

«بولس سلامة: ملحمة الغدير» ١٩٦١

* * *

«أبو طالب، عَمُّ النبيِّ، وكافِلُهُ، ومُرَبِّيه، وناصِرُهُ، كانَ من أَبْطالِ بني هاشم، ومن الخُطباءِ، العُقَلاءِ، الأُباة».

«خير الدين الزركلي: الأعلام ـ المجلد الرابع»

* * *

«حامي النبي صَلَّى الله عليه وآله، ومُعينُه، ومُحِبُّه أشَدَّ حب، وكفيلُه، ومُرَبِّيهِ، والمُقِرُّ بِنُبُوَّتِهِ، والمعترف برسالته، والمنشدُ في مناقبه أبياتاً كثيرةً، شيخُ قريش، أبو طالب».

(الجاحظ: العلاّمة الشيخ سليمان القندوزي - الحنفي المذهب)

ينابيع المودة: الجزء الأول - (الباب الثاني والخمسون)

أبو طالب بن عبد المطلب

٨٥ ـ ٣ ق. هـ.

٥٤٠ ـ ٦٢٠ م.

نسبه:

أبو طالب، واسمه «عبد مناف»[١]، والده، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه: فاطمة بنت عمرو بن عايذ، بن عمران، من مخزوم، وهي أم عبد الله والد رسول الله، فأبو طالب وعبد الله أخوان لأب وأم واحدة. . .

ولادته ـ نشأته:

ولد أبو طالب في مكة المكرمة، في بيت تُعطره أنفاس الفضائل، ذلك البيت الطيب الذكر، هو بيت والده عبد المطلب الذي قَدَّمَهُ التاريخ إلى الأجيال المتلاحقة ربَّانياً موحداً، وخُلُقاً سَمْحاً، وسَخَاءً سَكْباً، وذكاءً عبقريًّا، وحكمةً وشجاعةً، ودعوةً مستجابة. . .

في هذا البيت الْمُمَجَّدِ نَبَتَ أبو طالب، وفي ذلك المناخ اللاهوتي ـ الكريم شَبَّ وتَرَعْرَعَ. . . حتى استقام الْمِعَيًّا انْصهرتْ في ذاته كل شمائل أبيه، فهو موحِّدٌ مَنْبِتاً، وهو مُوَحِّدٌ جوهراً، وله

(١) وقيل: عمران، وقيل اسمه كنيته، والأول أصح لقول عبد المطلب: أوصيك يا عبد منافٍ بعدي بواجد بعد أبيه فرد.

في ميادين الحكمة جولاتٌ زاكيات...[1]

زوجتــه ـ أولاده:

زوجته فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشميَّة وَلدت لهاشمي، وقد أَنْجَبَ منها: طالباً، وعقيلاً، وجعفراً، وعليًّا[2]، وأم هانىء، واسمُها هند، وجمانة، وَرَيطَة، وزاد بعضهم: أسماء[3].

صــفــاتــه: مكانتــه الاجتماعيَّــة:

يقول صاحب الاحتجاج: «كان أبو طالب وسيماً، جسيماً، عليه بهاءُ الملوك، ووقار الحكماء وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته»[4]، وكانوا يسمُّونه «بَيْضَةَ البلد، ويلقبونه بشيخ الأبطح...».

وبعد وفاة أبيه احْتَلَّ مكانَ الصدارة في قريش، يقول منجد الأسماء: «كان كبير بيوتات قريش»[5]، وقد عهد إليه والده بسقاية الحاج...

وكان شجاعاً فذًّا، وشاعراً نابهاً مُتَوَقِّد الإحساس، وَقَفَ شعره

(١) قيل لأكثم بن صيفي: ممن تعلمت: الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟؟ فقال: من حليف الحلم والأدب، وسيد العجم والعرب، أبي طالب بن عبد المطلب.

(انظر: مجلة نهج الإسلام: عدد (٢٢)، صفحة /٩٦/ تشرين ثاني ١٩٨٥ إصدار وزارة أوقاف دمشق).

(٢) كان بين ولادة كل واحد وآخر من أولاد أبي طالب الذكور عشرة أعوام.

(٣) ذكر المؤرخون له زوجة ثانية اسمها «عَلَّة» وُلد له منها «طُليق»

(٤) أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج ـ الجزء الثاني، صفحة /٣٤٢/ مؤسسة النعمان ـ لبنان، بيروت.

(٥) راجع المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق ـ بيروت.

على تأييد الرسالة الإلٓهية ـ المحمديَّة، والدفاع عنها: والدعوة لاعتناق مبادئها. . .

ويقول الدينوري: «وكان أبو طالب يبيع العطر، وربما باع البر» وفي الأعلاق النفيسة: «وربما باع اللبن»(١).

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: «فأمَّا أبو طالب بن عبد المطلب، واسمُه عبد مناف، وهو كافل رسول الله، وحاميه من قريش، وناصرُه، والرفيقُ به، الشفيقُ عليه، ووصيُّ عبد المطلب فيه، فكان سيد بني هاشم في زمانه، ولم يكن أحَدٌ يسود في الجاهليَّة بلا مالٍ إلا أبو طالب».

«وأبو طالب أوَّلُ مَنْ سَنَّ القَسَامة(٢) في الجاهليَّة، في دمِ عمر بن علقمة، أثْبَتَها السُّنة في الإسلام، وكانت السُّقاية في الجاهلية بيد أبي طالب، فسلَّمها لأخيه العباس، وكان أبو طالب شاعراً مجيداً»(٣).

مـآثـر أبي طـالـب:

كانت حياةُ أبي طالب كفاحاً جادًّا، لم تَخْبُ نارُه منذ صَدَعَ ابنُ أخيه محمد برسالته، وكان كفاحه الدائب من أجل تثبيت أركان الرسالة الرحمانيَّة. . .

وإذا كان جَدُّه الثالث قصي بن كلاَّب نَظَّمَ المجتمع المكيَّ، وجمع شَمْلَ قريش حتى سُمِّيَ «مُجَمِّعاً».

---

(١) الدنيوري: المعارف، ط ـ ٢ ـ ١٩٧٠، وراجع الثعالبي: لطائف المعارف ص /١٢٧/ ط، مصر.

(٢) القسامة: يقال: حكم القاضي بالقسامة: أي بالأيمان، والمراد أن الأيمان (جمع يمين) تقسم على أولياء القتيل إذا ادّعوا الدم.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح النهج، المجلد الثالث المذكور، صفحة /٦٨٨/.

وإذا كان جده الثاني هاشم أبدع الإيلاف، وسَنَّ رحلتي: الشتاء والصيف، وَبَسَط لواءَ الرخاء والعدالة الاجتماعية فوق الناس...

وإذا كان والده عبد المطلب حمى قريشاً من الهلاك، وسَمَكَ لها صرحاً ممرداً من المجد... واشتهر بالكرم حتى سمي «مطعم الطير» فإن أبا طالب قاد معركة عداء شرس كافر مع أساطين مشركي قريش من أجل وحي الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله لتطهير الأرض من مفاسد الكفر والشرك، وإنقاذ الإنسان من جحيم: الطبقية... والتعاسة... والحرمان..

لقد مَنَّ اللَّهُ على أبي طالب، فأضاء قلبه بنور الإسلام، وقد ظهر إيمانه الوضيء، وعقيدته الصافية في شعره المُتَّفَقَ عليه وفي سلوكه الشخصي، والاجتماعي مع قريش الكافرة... ومع الخاصة من أهل بيته[1].

---

(١) نَدَرَ من كتب سيرة رسول الله، أو كتب عن تاريخ الإسلام إلا وذكر شعر أبي طالب المعطر بالإيمان... والداعي إلى الاعتراف بنبوة محمد. والمبرهن أن الله أرسله لهداية الناس.. كما أرسل عيسى.. وموسى.. وإبراهيم.. فشعره هذا متفق عليه من الجميع، بل إن علماء محققين نهضوا لدراسة شعره البالغ ثلاثة آلاف بيت، فتبيَّن لهم أنه كله لأبي طالب، وقد كشف التحقيق العلمي أن هنالك مَنْ أدخل في شعر أبي طالب ما ليس منه بغيةَ الإساءة إلى سمعته وإرضاء نزوات «السلطان» أو الشيطان.. أو كلاهما معاً...

يقول مفتي الشافعية بمكة السيد أحمد زيني دحلان في كتاب أسنى المطالب الصفحة الرابعة عشرة: من ذلك البيت التالي:

لولا الملامةُ أو حذاري سُبَّةً
لوجدتُني سَمْحاً بذاك مُبيناً

قال أحمد زيني دحلان:

إنَّ هذا البيت موضوع أدخلوه في شعر أبي طالب وليس منه» اهـ.

وإن حماية أبي طالب لمحمدٍ نبي الهدى من حراب «قريش البغي» وسيوفها، قَدَّمت للبشرية كلها تطوراً حضاريًا ـ ماديًا وروحيًا ـ باهراً. . .

ولا نغالي إذا قلنا: إن فضل أبي طالب في ذلك التطور ممتزج بأفضال ابن أخيه صاحب الرسالة الربانيَّة. . .

وسنرى في هذه الدراسة حبه العميق الذي لا حدود له لمحمد، وإخلاصه النزيه لدين محمد، والبلاء المحطم الذي اختار أن يتجرع عصيره الحميم في سبيل الرسالة المحمدية من خلاله جهاده العنيف الصابر. . . وشعره الثائر. . .

الرسول في كفالة عمه أبي طالب:

كان عبد المطلب يرى الخصال الرفيعات التي اختمرت بها نفس ولده أبي طالب تزداد غنىً يوماً بعد يوم. . .

= ويقول القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري الجزء الثاني، صفحة /٢٢٧/ عن قصيدة أبي طالب اللامية التي منها:

كَذَبْتُمْ، وَبَيْتِ الله نَبْزي، مُحَمَّداً
ولمَّا نطاعِنْ دونه ونقاتل

لَعَمْرِي، لقد كلفت وجداً بأحمدٍ
وَأَحْبَبْتُهُ حُبَّ الحبيب المواصلِ

فَأَيَّدَه رَبُّ العباد بنصره
وأظهر ديناً، حَقُّهُ غيرُ باطل

يقول القسطلاني: «إنها قصيدة جليلةٌ بليغة من بحر الطويل، وعدة أبياتها مئة وعشرة أبيات، قالها لمَّا تمالأت قريش على النبي، ونفَّروا عنه منْ يُريد الإسلام» اهـ.

إلى هذا المستوى الدقيق بلغ اهتمام العلماء بدراسة وتمحيص شعر أبي طالب الذي هو مرآة نفسه الكريمة.

إنه يرى شخصيته الفاضلة تتجلّى فيه وَمْضَةً... ومضة...

وإنه لذلك مغتبط الفؤاد...

ويبدو له شأن كريم، يتركه سرًّا بينه وبين نفسه...

ذلك السر هو: أن يضع محمداً في كفالة عمه أبي طالب حين يرحل عن هذه الدنيا...

ويمر عامان على محمد، بعد وفاة أمه، وهو في كفالة جده الرحيم...

ثم ينزل مرضٌ بهذا الجد العظيم، يرى معه أنه مفارق هذا العالم...

فينادي أبا طالب، ويعهد إليه بكفالة محمد الحبيب ذي الشأن العظيم، ويزوده بوصية يقول فيها: «انظر يا أبا طالب، أن تكون لهذا الوحيد الذي لم يَشمَّ رائحة أبيه ولم يذق شَفَقَةَ أمه، انظُرْ أن يَكون منك بمنزلة كبدك، فإني قد تركتُ بني كلهم وخصصتك به».

ثم قال: إن استطعتَ أن تَتْبَعَهُ فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه، والله سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحَدٌ من آبائي» وينظر مليّاً في وجه أبي طالب، كأنما يُريد أن يعرفَ أسرار كل خلجةٍ في حنايا نفسه، ويقول له: هل قبلتَ يا أبا طالب؟؟!!.

فقال أبو طالب، وقد أزهرتِ السكينة في فؤاده: «قد قبلتُ، واللّهُ على ذلك شهيد».

ويمد عبد المطلب يده ليضعها في يد ولده أبي طالب، ويشد عليها، ثم يأخذ نفساً عميقاً هادئاً ويقول: الآن خُفِّفَ عليَّ الموت، ويغمض العينين الوديعتين، ويذهب ألى ربه راضياً، مرضياً[١].

أبــو طالــب ومحمـــــد:

وينصرف أبو طالب إلى ابن أخيه محمد يغدق عليه كل ما وهبه الله من: رحمة، ومحبة، وعطف، حتى أن محمداً الصغير ابن الأعوام الثمانية لم يشعر أنه فقد شيئاً من رأفة وحنو جده.

بل إنه رأى في حنان عمه أفقاً رحباً يواكب نمو مداركه، وخيرات إحساسه الصاعدة، وإذا كان محمد بالنسبة لجده عبد المطلب كالعطر بالنسبة للزهرة، فقد غدا محمد بالنسبة لعمه أبي طالب كالماء بالنسبة لحياة الزهرة[٢].

إنه ينشئه على عينه، إنه يجعله ينتقل في جنان إبراهيم يتغذى منها ثمار المكرمات[٣]، فإذا مجتمع قريش يرفع محمداً إلى درجة القداسة، فهو، محمد الصادق.. وهو محمد الأمين.. وإذا هـو محمد الحكيم الـذي يقضي بالحق الـذي يـرضي الجميع.. وإذا هم يرون فيه أباه إسماعيل محاسن خلقية لا تنفد، فأخلصوا له حباً، وإجلالاً.

---

(١) توفي عبد المطلب عن مئة وعشرين عاماً.

(٢) يقول ابن سعد في الطبقات (المجلد الأول، ص /١١٩/ مطبعة صادر- بيروت: «كان أبو طالب لا مال له، وكان يحب محمداً حبًا شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرجه معه، وصبَّ به أبو طالب صبابة لم يصب بشيء مثلها قط، وكان يخصه بالطعام».

(٣) يقول ابن سعد في طبقاته المذكورة، صفحة /١٢١/: «وشَبَّ رسول الله مع أبي طالب يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها».

وَتَمَثُّلُ محمدٍ لتراث خليل الرحمن، جعل تَعَلُّقَ عمه به يتجدد، ويتسع باستمرار. . وحنان أبي طالب الذي يسكب على محمد طراوة الحياة، واطمئنانها جعله شديد الولع بعمه، فهو لا يكاد يفارقه. . حتى أنه لا يترك له سبيلاً للذهاب إلى مكان ما، إلا، وهو رفيق له.

صحبه إلى حرب الفجار[1]، وصحبه حين ذهب يستسقي لقريش، وصحبه إلى «ذي المجاز» وصحبه في رحلة تجارية إلى دمشق، وفي كل رحلة من تلك الرحلات، كان ينبت في قلب أبي طالب برهان جديد لشأن محمد العظيم.

ففي حرب الفجار انتصرت هوازن حليفة أبي طالب على كنانة بيمن محمد. .

وحينما استسقى أبو طالب لقومه داعياً ربه أن يكشف عنهم اغبرار القحط، بسط محمد كفيه، ودعا مع عمه، فإذا الغيث ينهمر من السماء وافياً، كافياً.

وفي طريق رحلته إلى ذي المجاز، عطش أبو طالب حتى كادت حرارة العطش تلتهم كبده، فتململ، وأعلم ابن أخيه محمد، فمد محمد يده إلى صخرة في الطريق شامخة، فإذا الماء يتدفق منها عذباً، فراتاً.

---

(١) حرب الفجار جَرَتْ بين قريش ومعها قبيلة كنانة وبين قيس عيلان، وسببها أن عروة الرحال من هوازن أجار قافلة تجارية للنعمان بن المنذر فقال له البَرَّاض بن قيس من كنانة: أتجيرها على كنانة؟؟ قال: نعم، وعلى الخلق كله، فقتله في عكاظ في الشهر الحرام، فلذلك سمي الفجار، فنشبت الحرب بين قريش وكنانة، وهوازن، وقد حضر الرسول مع عمه أبي طالب تلك الحرب، وكان عمره أربعة عشر عاماً.

وفي رحلته إلى دمشق يرى الغمامة تظلل محمداً، ويرى أحد الرهبان المنقطعين إلى التأمل والعبادة، فيحدثه عن محمد ويقول له: إنه نبي الله المرتقب، ويحذره مكر اليهود وغدرهم[1].

كل دلالة من هذه الدلالات كانت تستقر نوراً في نفس أبي طالب، فتصفو، وتتهلل إشراقاً.. ويزداد حرصاً على ابن أخيه محمد وبه ولعاً..

وتمر الأيام سراعاً حتى لكأنها طيور المساء عائدة إلى مطارح أمنها، وراحتها.. فإذا محمد ملء العين شباباً، ممتلئاً، وسيماً، وإذا هو ملء القلب أخلاقاً قدسية، وإذا هو ملء النفس مهابةً، وجلالاً.

وفي خلوة مفروشة بأطياب الهدوء جلس أبو طالب إلى نفسه يقول:

هذا محمد قد تجاوز العشرين ربيعاً، وقد آن أن نبحث له عن الزوجة الفاضلة، ليرفع بيتاً، وينجب أولاداً.. وكأني به يرد على نفسه قائلاً: وَمَنْ هذه التي تليق بمحمد الصادق، الأمين، زين

---

(١) قال ابن عساكر في تاريخ دمشق الكبير، وقال أبو طالب في ذلك من الشعر يذكر مسير رسول الله وما قاله له الراهب بحيرا، ومسيراً لقوم معه من تجار قريش..

إن ابن آمنة النبيَّ محمداً ... عندي بمثل منازل الأولاد
حتى إذا ما القوم بُصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد
حبراً، فأخبرهم حديثاً صادقاً ... عنه وَرَدَّ معاشر الحسَّاد.

(القصيدة)

وذكر له قصيدة ثانية في ذلك يذكر تظليل الغمام له وقول الراهب (راجع، ج - ١ - ص - ٦٢٧٢ - طبعة ثانية).

الفتوة، وربيع الشباب؟؟ أجل، من؟؟.

وأخذ يستعرض في ذهنه أسر مكة، وفتيات مكة، وتعب من الاستعراض ولما يَنْتَهِ إلى أمر حاسم، فحبس في وجدانه ذلك الخاطر إلى مناسبة ثانية.. وراح يزاول أعماله اليومية.

وبين اليوم، واليوم، كان يستيقظ الخاطر الحبيس في ذاكرة أبي طالب فيستأنيه، ريثما يهتدي إلى الآنسة التي تليق بمحمد صاحب الشأن العظيم.

محمـــد في رحلـــة تجاريـــة:

وذات يوم جاءه ابن أخيه محمد يقول له: إن خديجة بنت خويلد أرسلت إليه تطلب منه أن يرأس لها رحلة تجارية إلى دمشق..

ويبتسم العم الرفيق، ويقول بتحبب يذوب لطفاً: هذا الـذي تحدثنا به معاً ليلة أمس، ثم يتوجه إليه بالخطاب قائلاً: والآن ما رأي محمد الحبيب؟؟.

فيوافق محمد على الرحلة، ويوافق العم راضياً أن ينفرد محمد بالعمل بعيداً عنه، فقد أصبح مكتمل الرجولة، بل إنه المثل الأعلى للرجولة، ولا خوف عليه من اليهود، لأن قافلة خديجة ستضم ثلاثمائة رجل، يكون هو السيد المطاع فيهم.. وما كان أشد سرور خديجة حين وافق محمد وعمه على الرحلة وشفعت سرورها بأن سلمته قيادة الرحلة الجاهزة للسفر فوراً.

وكان صباح، وكان مساء، وإذا محمد يعود من الرحلة سالماً، غانماً.

وبعدما مضى إلى دار عمه أبي طالب، دعت خديجة وكيلها ميسرة الذي كان مرافقاً لمحمد، وسألته على انفراد: كيف رأيت محمداً؟؟ أخبرني لا تغادر صغيرة، ولا كبيرة.

فماذا أخبرها؟؟

قال لها: وعن أي خلق في محمد بن عبد الله أحدثك يا سيدتي؟.

عن أمانته؟؟ عن صدقه؟؟ عن نبله؟؟ عن تسامحه؟؟ عن بركاته؟؟

إن محمداً كل هذه الصفات مجتمعة، وكل من في مكة يعرف ذلك.. ولكن.. وَصَمَتَ الرجل يأخذ نفساً قصيراً وخيّل إلى خديجة، أن وراء كلمة «لكن» عيباً بمحمد يستحي أن يحدثها عنه، فدفعته إلى الكلام قائله: إيه.. قال: لقد رأيت أمراً عجباً، كانت غمامة تتبعه، وتظلا من حمارة القيظ، ورأيت راهباً اسمه «نسطور» يأتيني بعدما رأى ملازمة الغمامة له ويسألني ـ ولم ير محمداً عن قرب ـ: هل في عيني هذا الشاب حمرة؟.

قلت له: نعم، إنها لا تفارقه.

فقال: إنه نبي هذه الأمة.

* * *

زواج الرسول من خديجة:

كانت خديجة تصغي إلى حديث ميسرة، وكأنها في فردوس من الأحلام الناعمة، العذبة.

قالت متعجبة: غمامة تسير بمسيره، وتقف حين ينزل للراحة لتلقي عليه ظلها البارد!! ونبي هذه الأمة؟؟ أصدقاً قلت يا ميسرة؟؟!!

قال: نعم يا سيدتي، ما قلت إلا ما رأيت، وما سمعت، فصرفته قائلة: عليك أن تتعهد جمال القافلة وبعد ذهابه، انفلت منها هذا السؤال الذي وجهته إلى نفسها، قالت: لماذا أهتم بمحمد بن عبد الله كل هذا الاهتمام؟؟

هل هو دافع حب الاستطلاع؟؟ أم هو دافع الإعجاب؟؟ وأخذت تستقرىء نفسها، فإذا هي تكتشف سراً.. إذا هي ترى أنها تحب محمداً حباً تجاوزت بذرته مراحل نموها الأولى.

هل لامت نفسها على هذا الحب؟؟ هل رأت نفسها غير كفء لمحمد كونها أرملة، ولها أولاد؟؟

قالت تحدث نفسها: إني ما زلت شابة، وليس في قريش من هي أنضر مني جمالاً، وإني من بيت عريق في شرف الأصالة وإني أحب الخير للناس، وإني أطعم الجياع، وأساعد الفقراء والمساكين، ولا أبتغي لأحد سوءاً.. وإني غنية، فما يمنعني أن أطمع بمحمد؟؟

إذاً فهي ترى نفسها كفؤاً لمحمد، وفجأة برز من مخابىء

ذاكرتها سر دفين، لقد قال لها أحد الكهنة منذ حين من الزمن سيكون لك شأن مع نبي عظيم..

وراحت تخاطب ذاتها قائلة: هل يكون محمد ذلك النبي العظيم؟؟

وما هو ذلك الشأن؟؟

هل يصبح محمداً زوجاً لها فتتحقق نبوءة الكاهن، وينعقد على مفرقها تاج سعادة خالدة، ورائعة؟؟ أم ماذا؟؟

وانثنت إلى محمد تستعرض في ذاكرتها شريطاً مصوراً لحياته المعنوية، قبل ولادته، وحين ولادته، كلمات جده الراحل عبد المطلب عنه، أقوال الرهبان، والكهنة، والعرافين.. أخلاقه.. تظليل الغمام له.. انتزعت كل هذه الصور من ذاكرتها ووضعتها أمام عقلها، وطفقت تقلبها واحدة، واحدة، ثم همست تقول: هل يكذب كل هؤلاء؟؟ لقد تكلموا، وكل واحد منهم بعيد عن الآخر، ولم يكذبون على محمد بن عبد الله دون سواه؟؟ لا، ليس في الأمر كذب، بل هو القول الفصل، وما هو بالهزل، وإنه لصاحب الشأن العظيم كما أخبرها الكاهن، وكما وصفه جده، وأنه هو نفسه سيكون لها معه الشأن العظيم.. هكذا حكم عقل خديجة الواعي، وعلى هذا الأساس الواضح أضمرت فكرة تكشف لها أوراق حياتها القادمة المختومة بخاتم الغيب.

ماذا عزمت خديجة أن تفعل؟؟

ها هي تنادي جارية لها، تأنس بها، وتثق بتدبيرها، فتسر إليها

بضع كلمات.. وتمضي الجارية نفيسة إلى محمد بن عبد الله توشوش إليه بتلك الكلمات.. ثم تعود منه بجواب جعل لحظيها يتألقان ببهجة الفرح الرزين. وتدخل نفيسة على سيدتها اللهيفة إلى عودتها، وتنظر خديجة الذكية في وجه الجارية، فإذا هي ترى أمانيها الغاليات تتلألأ في عينيها وتقول لها: لقد أصبح الحلم حقيقة يا خديجة!!...

قالت لها: وافق يا سيدتي على أن تَحْظَى موافقته برضى عمه أبي طالب.

فانقبضت خديجة من جديد وقالت: هل يعارض العم الجليل؟ ولكن العم الجليل وافق، لقد ذهب إليه ابن أخيه محمد، فإذا هو يراه شارد الفكر. حتى لكأنه يستجلي أبعاد الزمن.. كان باله مشغولاً بمحمد ـ بزواجه، وبينا هو يفكر، ويمحص وجوه الرأي، طلع عليه وجه خديجة بنت خويلد فقال: ما يمنع أن تكون هذه زوجة لمحمد؟؟

شرف، وعقل، وقلب كبير، وغنى نفسي ومادي، وتقف مناقشات أبي طالب للأمر هنا، لأنه سمع حركة أقدام تتجه نحوه، فنظر، فإذا الحبيب محمد مقبل، وفي وجهه ابتسامة حلوة، يانعة.

قال له عمه: أرى في وجهك بشرى مثناس، فهات يابن أخي!! ما عندك؟؟

ويحدثه محمد عن خديجة، فإذا هو يقول: ذلك ما كنا نبغي،

وأخبره بما كان يعتمل في نفسه حول هذا الموضوع.

* * *

محمد يخطب خديجة:

ويتحدد يوم الخطوبة، ويحضر أبو طالب على رأس الهاشميين في دار خديجة، ويحضر من قريش من حضر، ويقوم أبو طالب شيخ البطحاء، يخطب خديجة فيقول:

خطبة أبي طالب:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وضئضىء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا حكام الناس.. ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلاّ رجح به شرفاً، ونبلاً، وفضلاً، وعقلاً، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل ما آجله كذا.. وعاجله كذا.. مهراً لها، وهو، والله، بعد هذا، له نبأ عظيم، وخطر جليل، جسيم..

ويتم زواج محمد من خديجة، وينتقل من دار عمه إلى بيت الزوجية الجديد، بعد أن عاش سبعة عشر عاماً في كنف عمه، البر، الرحيم[1].

سبعة عشر عاماً إلا قليلاً منها، كان أبو طالب يفتح عينيه كل

(١) تزوج الرسول خديجة وعمره خمسة وعشرون عاماً وقد ولدت له قبل البعثة: القاسم، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وبعد البعثة: عبد الله، والطاهر، وفاطمة (كتاب محمد عند علماء الغرب).

صباح على وجه محمد، ويسلمهما مساء إلى نوم هانىء سعيد، بعدما تنعمان بمرأى محمد.

سبعة عشر عاماً، كان محمد أثناءها في روح أبي طالب بسمات جمال روحاني، أما في قلبه فقد كان مروجاً خضراً ينساب فيها جداول الصفاء.

سبعة عشر عاماً كانت فيها فاطمة بنت أسد، زوج أبي طالب، ووالدة علي أماً لمحمد تدفىء قلبه بنور حنانها، وتغسل عواطفه بعبير حبها المبارك، ومحمد كان يحس ذلك من عمه أبي طالب، وكان يُحسه أيضاً من فاطمة بنت أسد، كان يرى نفسه عندهما، صورة وضيئة، مقدسة، تملأ القلبين الأقدسين..

كان يرى فيهما الإنسانين اللذين يروحان حياته بالبسمة الراضية، والإشراقة الحانية، والآن، وقد تزوج محمد وترك دار عمه إلى دار خديجة، فكيف يكون شأنه؟؟ وكيف يكون حال أبي طالب؟؟ وكيف يكون حال فاطمة بنت أسد؟؟

لا ريب أن ذلك الفراق.. وإن كان صباحاً زاهياً أفاض على الجميع ضياء الرجاء الحميد ـ لا ريب أنه لامس عواطف القوم بأصابع ألم قاس، ولكن حرصهم على هناء محمد شرع يمسح وخزات الألم شيئاً، فشيئاً، وهذه الفرقة لم تكن لتمنع القلوب من المحافظة على الحب الأمين، الرصين، ذلك لأن الحب الذي استمد غذاءه من تربة الإيمان بالله.. الحب الذي شرب ماءه من كوثر الإخلاص، هذا الحب لا يضمحل، بل يظل حياً لأنه حب مرتكز على مبدأ، وعقيدة.. إنه حب أرواح منزه عن تفاهات المادة ومصالحها. ذلك الحب التقي ربط بين بيت أبي طالب،

وبيت محمد كما يرتبط المعنى بالكلمة، لذا لم يمر طويل من الزمن حتى أخذ محمد ابن عمه علياً إلى بيته لينشأ فيه، ويترعرع، كما نشأ هو في بيت عمه.

* * *

علـــي ومحمـــــد:

كان محمد يتعهد علياً منذ ولادته، كان يهز له السرير، كان يحمله بين يديه، ويلصقه بصدره، كان يناغيه، كان يداعبه، كل ذلك قبل أن يجيء إلى بيته، ويضمه إلى أسرته، واليوم جلبه إلى بيته يزقه الطعام، ينيمه في فراشه[1]، ينشئه غِنىً خلقياً، وقلباً، دماؤه محاسن الفضائل.

يربيه قرة عينه. فكما كان يضع اللقمة في فمه ليشتد جسده وينمو، كان يغذيه بشمائله جرعة جرعة كما يسقي البستاني الوردة علا، علا.. فإذا هو يشب معنى من معانيه، وروحاً من أخلاقه.. إذا هو قمر يدرج في منازل الكمال حتى يغدو علي بن أبي طالب بدر الهدى الذي لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق[2].. إذا هو علي الذي يراه الرسول في المباهلة توأم

---

(١) يتحدث عليٌ عن ذلك في خطبته القاصعة فيقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه.. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه.. أرى نور الرسالة، وأشم ريح النبوة» (نهج البلاغة: الجزء الثاني، ص١٥٧، الشيخ محمد عبده، مطبعة كرم ـ دمشق).

(٢) قال رسول الله ـص ـ لعلي: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (متفق عليه).

نفسه.. إذا هو علي الذي توجه الرسول خليفة له في بدء دعوته الإلهية حتى قال أمام عشيرته الأقربين، هذا أخي، ووصي، وخليفتي من بعدي.. وتوجه في ختام دعوته خليفة له أمام مئة ألف من الحجاج ويزيدون حين قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم، والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأدر الحق معه حيث دار.

وكانت خديجة من علي حناناً صافياً، وحدباً نقياً، كما كانت فاطمة بنت أسد من محمد، وبسق فرع علي في ظلال الروحين الأطهرين: محمد وخديجة، حبيباً، مدللاً، منعماً.

الله يختار محمداً رسولاً ونبياً:

وتستمر خطوات العمر في محمد صعوداً.. فإذا هي تنزله في رحاب الأربعين عقلاً بصيراً يكاد يستشف حجب الغيب.. وفؤاداً ذكياً منضراً بالحكمة، وهو في هذه السن.. وهو في جبل ثور حيث كان منعزلاً عن الناس، يتأمل في بدائع ما يرى، وما يسمع، وما يحس، من هذه البسيطة، يأتيه جبريل ويقول له: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ﴾.

* * *

محمد وإرهاصات الوحي:

الحقيقة الأزلية أرسلت «جبريل» يخصب قلب محمد بأرج الوحي.. ويعلمه، إن الله اختاره نبياً، ورسولاً للعالمين، ليبلغهم رسالة ربه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

ويذهب محمد إلى خديجة يضعها في إطار النبأ، الباذخ،

المثير.. قص عليها ما حدث، وكأن به دهشة، وكأن به خوفاً مرعداً.

ترى، هل كان محمد يمتحن أعصاب خديجة أمام وحي السماء، أم هي الفرحة الروحية المفاجئة، لأن الله اجتباه رسولاً؟؟ لقد ريعت خديجة عندما واجهها، باضطرابه، ثم ما لبثت ذاكرتها أن تفتحت عن خطوط مبهمة تحولت إلى أحرف، ثم التأمت كلمات، فإذا هي تقرؤها: إن محمد هو النبي الذي لها معه الشأن العظيم.. فانبجس برد اليقين ملء صدرها، وإذا هي تقول للرسول بكل ما عندها من ثقة واطمئنان: كلا، لن يخذلك الله.. وأنت نبيه.. ولما رأت وداعة الرضى تغمره بظلالها، تركته، ومضت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان متألهاً، مطلعاً على التوراة والإنجيل.. وأعلمته بما حدث لمحمد.. فماذا قال لها؟.

قال: قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة ورجعت خديجة إلى محمد، وهي ترى: أن قلبها قد اتسع للدنيا كلها.. ولما وصلت رأت محمداً مزملاً ببرد السكينة.. وما استقر بها المقام حتى شرعت تفيض عليه بشرى ابن عمها ورقة سلسبيلاً روحياً، ونعيماً مقيماً، وملكاً كبيراً.

وكما كانت هذه الأحداث الكريمة تمضي أمام سمع خديجة وبصرها، كانت تمر أيضاً تحت سمع علي بن أبي طالب وبصره وكلاهما: خديجة، وعلي بسط يده إلى رسول الله مبايعاً، هاتفاً

من أعماقه أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله وكلاهما وقف معه يؤدي الصلاة، إجلالاً لله، وشكراً له قبل الناس بأعوام، وأعوام.

وَيَتَّابع هبوط الوحي على محمد رسول الله فيقوم بالدعوة سراً، ثم يجهر بها امتثالاً لقول ربه: ﴿ فاصدع بما تؤمر، وأعرضْ عن المشركين ﴾.

* * *

محمد وقريش:

وقفت قريش تسمع ما يأتيها به محمد رسول الله.. وعاد اسم محمد، مثل يوم ولد يملأ أعطاف كل نسمة تهب في سماء مكة وتحول اسم محمد إلى علامة تعجب.. ثم إلى علامة استفهام.. وطفق سكان مكة يقولون: محمد صادق، لم يعرفه الكذب، محمد طاهر، لم يقارف لوناً من ألوان المنكرات، محمد أمين زكت به الأمانة، عقل محمد شعلة تتوهج بالحكمة، فكيف يقول: إنه رسول الله؟؟

هل جن الرجل؟؟ هل هو شاعر؟؟ هل هو كاهن؟؟

كلا، كلا، إن القرآن الذي ينطق به محمد معجز في بلاغته، عجيب في فصاحته، وليس من سجع الكهان، ولا هو من أقوال الشعراء.

إذاً، ماذا؟؟

لم يبق إلا أنهم كاذبون فيما يتهمونه به، وإنه رسول الله كما

يقول، وما دام الأمر كذلك، فلم لا نؤمن به نبياً هادياً. . ذلك كان حديث جماهير الشعب في مكة. . ثم ما عتم العبيد، والفقراء، والمساكين أن سارعوا إلى الدخول في دين محمد الذي أرسله الله لتخليصهم، وتخليص الإنسانية من بربرية: الظلم، والطغيان، والحرمان. .

أما الأرستوقراطيون أصحاب رؤوس الأموال، أما التجار المرابون. . أما هؤلاء فقد كانوا يعيشون في جو من قلق، غامض ممزوج بالخوف. .

كانوا يتسقطون أخبار محمد، وما يطلع به على الدنيا من تشريعات قرآنية، ويجمعونها إلى بعضها.

أوه!! إنها الكارثة الساحقة التي لا تبقي لهم سلطاناً. . مادياً. . ولا معنوياً. . إنها تحرم عليهم كل متعهم: النفسية، والجسدية. .

إنها تحرم الربا، وتحرم كنز الذهب والفضة، وتحرم استغلال جهود الضعفاء، وتحرم الزنا، والمضاربات المصرفية، إنها تجعل للفقراء حقاً معلوماً في أموال الأغنياء. . إنها تجعل الناس سواسية. . وإنها. . وإنها. .

ها!! لم يبق ـ بالنسبة لهم ـ شيء خفي يبحثون عنه.

إن رسالة محمد تقضي على امتيازاتهم، أن دين محمد يأتي بنيان طبقيتهم من القواعد فينسفه نسفاً. .

وتداعى أغنياء قريش، والمرابون، والمضاربون، و. . و. . إلى اجتماع.

قالوا: دين محمد يذهب بوجاهتنا، ويجعل من عبيدنا أنداداً لنا، ويبدد ثرواتنا. . وقالوا. . وقالوا. .

ثم خرجوا من اجتماعهم يعلنون معارضة دين محمد. . ورصدوا لهذه المعارضة كل ما يملكونه من طاقات جبارة. . ولم يروا حجة تدعم قواهم الذاتية إلا إظهار التمسك بآلهتهم الحجرية. . وعاداتهم الجاهلية، فاتخذوا منها وسيلة لمحاربة تعاليم محمد. . وهم إنما يريدون حماية امتيازاتهم، ومكاسبهم الطبقية من العدل الاجتماعي الذي تفرضه ثورة محمد بن عبد الله. . صرخوا هادرين: أيشتم محمد آلهتنا؟؟ أيسفهنا لأننا نعبدها؟؟ أيريدنا أن نرفض عادات الآباء والأجداد؟؟ إن هذا لن يكون. . لن يكون. .

وأخذوا يحرقون المؤمنين بنار عداوتهم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وكان عبيدهم المؤمنون أشد الناس اضطراباً في جحيم كيدهم. . لقد مدوا إليهم السياط تمزق جلودهم. . ومدوا إليهم أسنة الحراب توسعهم تنكيلاً، وتفريهم بلسانها نعاجاً. . ولجوا في البطش، والهمجية، ولكنهم ذهلوا. . كادوا يجنون لما رأوا سلوكهم الفرعوني، الحاقد، يزيد عبيدهم المؤمنين بنبوة محمد بصيرة. . إنهم يجعلون من كلمة: أحد، أحد، جنة لهم من جحيم العذاب، فإذا هم، وكأنما لم يمسهم عذاب.

ويجتمعون من جديد يتدارسون شؤونهم.

رأوا دين محمد يمتد امتداد الظلال عند الغروب.. أحسوا نهايتهم تقترب.. لقد أصبحوا منها على خطوات.

فماذا يفعلون؟؟

هل يغتالون محمداً؟؟

ولكنهم إذا اغتالوا محمداً نشبت بينهم حرب أهلية يقودها ضدهم أبو طالب ووراءه سيوف بني هاشم ومن يواليهم وفي ذلك خطر ذابح على قريش كلها.

وأخيراً، استراحوا إلى فكرة جديدة.

قريش وأبو طالب:

قالوا: لماذا لا نضع ثقل متاعبنا على أبي طالب، كافل محمد وسيد الهاشميين؟؟

واستحسن الجميع الفكرة.. وبعد دقائق معدودات، كان وَفْدٌ منهم عند أبي طالب يقول له:

يا أبا طالب!! إن ابن أخيك سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا، وبينه.

وأجمل لهم أبو طالب في الرد، وقال: سأنظر في هذا الأمر.. فتركوه راضين، ومكثوا يرتقبون..

ومضت أيام، فأشهر.. ولم يطرأ على مسلك محمد تغيير.

دعوته ماضية في طريقها قدماً رغم جبال العوائق التي يقيمونها في سبيل الدعوة.. فتنادوا إلى اجتماع جديد، وقالوا: ما فعل أبو طالب شيئاً، ونحن أصبحنا على قمة الانحدار إلى الهاوية..

فقال أحدهم: وما يدريكم أن أبا طالب ليس على دين ابن أخيه محمد؟؟

أما سمعتم ما جرى بينه وبين ابنه علي ربيب محمد؟؟

قالوا: ما سمعنا بهذا، فهات ما عندك.

قال: رأى أبو طالب علياً يصلي مع محمد في مكان مهجور، فسأله: ما هذا يا علي؟؟!!

فقال له علي: يا أبت!! آمنت بالله، وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه، واتبعتُه..

فقال بعضهم بغضب: وماذا قال له أبو طالب؟؟

قال الرجل: لقد أجاب أبو طالب ابنه علياً، فقال له: أما أنه لا يدعوك إلا إلى خير، فالزمه.

وسرت همهمة بين القوم: يبارك عمل ابنه علي، ويؤكد له أن محمداً لا يدعوه إلا إلى خير؟؟ ما هذا؟؟

فقال الرجل: رويداً، إن القصة لم تنته، فأصغوا.

فصمتوا يتلهفون لسماع بقية القصة..

فقال لهم: لقد مجد أبو طالب عمل ابنه بالبيت التالي:

إن الوثيقة، في لزوم محمد

فاشدد بصحبته، علي، يديكا

قالوا: هذا منكر. . لا نحتمله من أبي طالب.

فقال لهم الرجل: على رسلكم.

قالوا: هل من مزيد؟؟

قال: نعم.

واندفع يقول: وفي مرة ثانية، رأى أبو طالب محمداً وعلياً يصليان، ولا ثالث معهما، وكان معه ابنه جعفر، فقال لجعفر: يا جعفر!! صل جناح ابن عمك، فصل عن يساره ثم هب ينشد:

إنَّ عليًّا، وجعفراً ثقتي
عند مُلم الخطوب والنوب

لا تخذلا، وانصرا، ابن عمكما
أخي، لأمي، من بينهم، وأبي

والله، لا أخذل النبي، ولا
يخذله من بني ذو حسب[1]

فهل أنتم سامعون يا سادة قريش؟؟!!

إن أبا طالب يعترف بنبوة محمد، ويقسم أن لا يترك نصرته على نشر الدين، وهو يُلزم ولديه بالصلاة معه، ويحضهم على نصرته، بل إنه يتبرأ منهم إذا لم ينصروه، تذكروا قوله:

والله، لا أخذل النبي، ولا
يخذله من بني ذو حسب

---

(١) اجرى أبو جعفر الإسكافي شيخ المعتزلة مقارنة بين أبي طالب وأبي بكر فقال «تذكر الرواة أن جعفراً أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره، وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبد الرحمن في الإسلام حتى أقام على كفره بمكة ثلاث عشرة سنة، وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادي: أنا عبد الرحمن بن عتيق هل من مبارز، ثم مكث على كفره حتى أسلم عام =

فمـاذا أنتم راجـون، بعـد هـذا، من الـذهـاب إلى أبي طالب؟؟

قالوا: إن ذلك، هو النار التي لا نستطيع عليها صبراً..

وارتفعت الأصوات من كل جانب مستنكرة عمل أبي طالب، وتفجرت قذائف التهديد بالموت من كل جانب.

وبعدما خمدت نار الغضب التي اشتعلت في الأعصاب، قال أولو التجربة منهم:

تعالوا نبحث الأمر بهدوء لا يخنقه دخان الغضب، والصخب إننا إذا اتخذنا من السيف حكماً بيننا وبين الهاشميين، لا نأمن أن تكون الدائرة علينا، فتريثوا، وتعالوا نبحث الأمر، ونناقشه بأفكار مطمئنة..

قال الثائرون: هاتوا نستمع..

قال قائل منهم: إن أبا طالب ما زال يزعم أنه على ديننا، وما دام هو يصرح بذلك، فلنذهب إليه، ونحاوره في أمر ابن أخيه محمد ثانية، ونسمع جوابه، ومن جوابه نعتمد برهاناً على رسم خطة للعمل في المستقبل.

وبعد تردد. وافق الجميع..

ومضى وفد منهم إلى أبي طالب، فلما رآهم قادمين، مشى إليهم، يستقبلهم، ويرحب بهم، ويوزع عليهم ابتساماته قائلاً: أهـلاً بسادة قـريش، وجلس معهم يديـر عليهم الفكاهـات، والمداعبات..

= الفتح، وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الإسلام طوعاً وكرهاً.. الخ».
(راجع، ابن أبي الحديد: شرح النهج، ج-١٣- ص ٢٧٠ - طبعة ثانية ١٩٦٧)

لم يتركوا أبا طالب يستمر طويلاً في دعابه الفكه، بل قالوا: يا أبا طالب!! إن لك سناً، وشرفاً، ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنا، وإنا لا نصبر على هذا: من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم صمتوا يلتمسون منه جواباً.

فماذا كان من أبي طالب؟؟

كان أبو طالب يعلم: أن في أيديهم مفاتيح الأموال، وكان يعلم أن في المال قوة تسوق عبيد الدرهم ـ وما أكثرهم ـ بعصاها السحرية. وكان يعلم أن إعلان إسلامه سوف يقطع خيط الرجاء العنكبوتي الذي يربطهم به.. وكان يعلم أن قطع ذلك الخيط، يعني خلق يأس أحمق في نفس كل منهم يحملهم على المبادرة إلى الحرب التي يتحاشاها الفريقان.. ولكن.. ماذا يكون نتاج الحرب لو وقعت؟؟ إنهم سيتكالبون عليه، سيطوقونه كما يُطَوِّقُ السوار المعصم.. وسيدفعون الأموال لذؤبان القبائل العربية فتثب معهم عليه.. كل هذا سوف يقع إذا قطع الخيط الذي يصلهم به.. وإذاً فلن يكون نتاج الحرب إلا تضييع الرسالة المحمديةُ، لأنها ما برحت هلالاً في يومه الأول يحجبه رغوة خفيفة من الضباب، فكيف، وهنالك، رؤوس الطغيان من قريش الذين يخلقون كل يوم سحاباً من الظلمات ليطفؤوا نور الرسالة المحمدية.

إنَّ على أبي طالب أن يختار سلوك طريق من اثنين: إما أن يجهر بإسلامه، وفي ذلك ضياع رسالة السماء، بعد تقحم نهر من

الدماء.. وإما أن يكتم إسلامه ويجاملهم، وفي مجاملتهم يستطيع حماية محمد، وتحت أفياء حمايته ينمو هلال الرسالة حتى يبلغ كماله، ويعم العالمين نوره.. ثم يكون له معهم - إذا ظلوا ضالين - شأن جديد.

وبعد دراسة، شملت كل نواحي السلب، والإيجاب، قَرَّرَ أن يكتم إيمانه، ويجاملهم؛ لذلك رق لهم بالكلام، ولطف، وأراهم منه بقدومهم فرحة الحقول بالطيور المغردة. أراهم، أنه أبو طالب بن عبد المطلب الذي لا يرضى إلا أن يرى نبع السعادة يتدفق من كل بيت في مكة.. فأنس القوم به، وتضاءلوا أمام كياسته، ومضوا، فرحين، مرحين.

وبعد ذهابهم أحضر أبو طالب ابن أخيه محمداً، وحدثه بطلب السادة من قريش، ثم قال له:

ابق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.

رضي أبو طالب أن يواجه رسول الله بهذه الكلمات ليسمعها عنه جبابرة قريش، قال أبو طالب لمحمد ذلك، وأخذ يراقب بشعور رهيف حركات ابن أخيه.. ومرت لحظات ثقيلات من الترقب، ولكن هو ذا محمد يتكلم.. فإذا جوابه يأتي كما يشتهي أبو طالب، لقد قال له محمد كلمته التي ستظل رمزاً أبدياً يشير إلى العزيمة، الصلبة، الأبية: والله، يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه..

يا للنبوة المباركة تمتحن في وجودها فتجيب بالتصميم الراسخ، والإرادة الغلابة، المستعلية.

يا لمحمد العظيم، يعلن تحديه لأقيال: المال، والشرك، ثم ينظر في وجه عمه أبي طالب، فإذا هو يراه سائحاً بماء البشر والرضى.. وإذا هو يقول له بتصميم كتصميمه، وعنفوان كعنفوانه: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.. ثم أفاض عليه من أعماق روحه هذه الأبيات:

واللهِ، لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسَّدَ في التراب دفينا
فاصْدَعْ بأمرك، ما عليك غضاضةٌ
وابشر بذاك، وقرَّ منك عيونا
ودعوتني، وعلمت، أنك ناصحي
ولقد صدقت، وكنت، ثَمَّ، أمينا
ولقد علمت، بأن دين محمد
من خير أديان البرية.. دينا

فانشرح صدر محمد، وسارت الأبيات في قريش، وكأنها النسمة الغاربة تحمل عبير الجنان، وفي اعتقادي أنه لم يبق إنسان في مكة، لم يردد هذا البيت الذي يعلق بالذاكرة عفواً عند سماعه، لصدقه، وعذوبته.. أجل، لا أرتاب، أن كل بشر سوي، ذكراً كان أو أنثى ردد بنشوة تنفذ إلى أصول الحياة:

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية.. دينا

وذلك لحبهم محمداً منذ عرفوه، ولإيمانهم أن محمداً لا ينطق إلا بالصدق، هذا ما كان كامناً عندهم في اللاشعور. . ولكنّ الأنانية، والفردية، والاستكبار، ولكن حب المحافظة على الامتيازات الطبقية، وحب كنز الذهب والفضة، ولكن حب الاحتكار، واستغلال الجماهير التي تعيش من عرقها، ودمها. . هذه الأمور هي التي كانت تدفعهم إلى محاربة محمد، هذه كانت - في التاريخ - وستظل طوفان الشرور الذي يغرق العالم بالمفاسد، والمجازر، والمآسي. . وبعد أن سرت أبيات أبي طالب في مكة عبيراً قدسياً. . التقى أصحاب رؤوس المال، ومن يواليهم، في اجتماع طارىء، ومن جديد أيضاً قال قائلهم: ألم أقل لكم إن أبا طالب مؤمن بدين محمد؟؟

وينكر عليه قوله بعضهم، ويستحر الخلاف بينهم بسبب ذلك حتى يدخل في مرحلة التخاصم.

القائلون بإيمان أبي طالب، وجدوا الحجة، الطّرِيَّةَ، الفاصلة في قوله:

ولقد علمتُ، بأنَّ دينَ محمد

من خير أديان البريَّةِ. دينا

وأما الآخرون، فكانت حجتهم: إن عاطفة الرحم، ووصية عبد المطلب هما اللتان تمليان على أبي طالب شعره. . . وتنازعوا طويلاً، وتجادلوا، ثم عادوا، فأبرموا رأياً جديداً.

* * *

ذهبوا إلى أبي طالب للمرة الثالثة يعرضون عليه أمراً. . ، قالوا

له: يا أبا طالب!! هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش وأشعره، وأجمله، فخذه، فَلَكَ عَقْلُهُ، ونصرته واتخذه ولداً، وأسلم لنا ابن أخيك، هذا الذي خالفَ دينك، ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، وعاب آلهتهم، فنقتله، فإنما رجل، برجل.. هم في هذا العرض يقدمون إليه أشجع فتى عندهم ليتخذ منه ولداً على أن يعطيهم محمداً ليقتلوه.. وقد حرصوا مع هذا العرض أن يحركوا في نفس أبي طالب عواطف ذكرى الآباء والأجداد. وانتقلوا من تحريك المشاعر إلى التحريض على محمد، لأنه، خالف ـ حسب رأيهم ـ دينه.

قالوا له: هذا الذي خالف دينك، ودين آبائك.

بماذا يجيب أبو طالب هؤلاء القوم؟؟

قال لهم: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟؟ هذا، والله لا يكون أبداً..

وهكذا يرفض أبو طالب عرضهم بلا تردد، أو خوف، أو مجاملة.

لو ضعف أبو طالب لمح بصر أمام قومه لانتهى محمد ورسالته.. ولكن أبا طالب قوة عارمة لا تلين عندما يكون الأمر جداً.. إنهم لو أعطوه جميع شباب مكة، ومعهم كل كنوز مكة لما أعطاهم محمداً.

إنه حينما يعطيهم محمداً يعلم أنه يعطيهم كل معاني الخير لتي صاغها الله من أنوار رحمته لإسعاد البشرية.. إنه يعلم أنه

إذا أعطاهم محمداً، فإنما يعطيهم نبي الهدى، أما هم فماذا يعطونه؟؟

إنهم يعطونه ظلمات الجبت، والطاغوت التي تسجن الإنسانية في كهوف الآلام، والحرمان.. لذلك رفض طلبهم بإصرار ولذلك نظر القوم إلى بعضهم مشدوهين من عنف رده الحاسم.

وخيمت برهة صمت فقد كل منهم فيها قدرته على التفكير، والمناقشة... ويأتي الرد على أبي طالب من مطعم بن عدي أحد حلفائه. قال له مطعم: والله، يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أرى أنك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

يا للمفاجأة السارة التي أذهبت دهشتهم.. ها هم يربحون شخصية جديدة لها شأنها في قريش.. ويرى أبو طالب غبطة المشركين بكلمات مطعم فيتوجه إليه يسمه بهذه العبارات المزلزلة: والله ما أنصفوني، ولكنك قد جمعت خذلاني، ومناصرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك.

ويقف آخرون إلى جانب مطعم يعلنون سخطهم على موقف أبي طالب من قومه.. وينهض الجميع من حضرة أبي طالب وينصرفون إلى ناديهم، وهم يكادون يتميزون غيظاً.

لم يتسرب الوهن إلى نفس أبي طالب، بل ازداد صلابة.

* * *

ويتوالى يوم بعد يوم يسمع فيها أبو طالب أعذاراً واهية يتذرع

بها أقاربه الذين تخلوا عنه ساعة العسرة، فإذا هو يقول لهم:

ألا، قل لعمرو، والوليد، ومطعم
ألا ليت حظي من حياطتكم بكر[1]
أرى أخوينا من أبينا وأمنا
إذا سئلا، قالا، إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر، ولكن تجرجما
كما جرجمت من رأس «ذي علق» صخر[2]
أخص خصوصاً، عبد شمس، ونوفلاً
هما نبذانا، مثلما ينبذ الجمر
وتيماً، ومخزوماً، وزهرة منهم
فكانوا لنا مولى، إذا بُغِيَ النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة
ولا منهم، ما كان من نسلنا شفر[3]
وما ذاك إلا سؤدد خصنا به
إلهُ العباد واصطفانا له الفخر

هذه الأبيات تُبين لنا القوم الذين كانوا حلفاء طبيعيين لأبي طالب بسبب القرابة القريبة، ثم انصرفوا عنه وأعانوا أعداءه عليه،

---

(١) البكر: الفتي من الإبل.

(٢) تجرجما: سقطا، ذي علق: اسم جبل، معنى البيت: أن بني عبد شمس، وبني عبد مناف، إخوة الهاشميين قد تخلوا عنهم، مدعين ـ كذباً ـ أنهم لا رأي لهم ـ فسقطوا ـ بالنسبة لشرف صلة الأرحام سقوط صخرة من رأس جبل (ذي علق).

(٣) شفر: أحد، يقال: ما في الدار شفر، أي أحد.

ويرى أبو طالب أن الحسد هو الذي جعلهم ينقلبون عليه، لأن الله اختصهم، أي الهاشميين بالنبوة التي جاءت ترفعهم فوق الخلائق أجمعين.

ثم يدعو أبو طالب الهاشميين، وأبناء عمهم من بني المطلب إلى اجتماع يتدارسون فيه التطورات الجديدة.. والموقف الذي يجب اتخاذه..

ويحضر الجميع، ويخرجون من الاجتماع روحاً واحدة في جسد واحد، كلهم وقف وراء أبي طالب عملاقاً يفدي رسالة محمد بالدماء الزكية، والأرواح الغالية.

نعم، شذ من الهاشميين أبو لهب عم رسول الله، لأنه كان يخشى ـ كما كان يخشى أبو سفيان، وأبو جهل، وعتبة، و... وغيرهم ـ أن يذهب انتصار محمد بماله، ولقد أعلمه الله أن ماله لن يغنى عنه شيئاً حين ذمه بقوله:

﴿ تبت يدا أبي لهب وتبَّ. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب ﴾.

وفي إجماع الهاشميين وبني المطلب على شد إزر أبي طالب، يفخر، فيقول:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
فعبدُ منافٍ سرُّها، وصميمها[1]

---

(١) سرها وصميمها: خالصها وكريمها.

فإن حصلت أشراف عبد منافها
ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً، فإن محمداً
هو المصطفى من سرها، وكريمها
تَدَعَّتْ قريش، غثها، وثمينها
علينا، فلم تظفر، وطاشت حلومها[1]
وكنا قديماً، لا نقر ظلامة
إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة
ونضرب عن أجحارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء، وإنما
بأكنافنا تندى، وتنمو أرومها[2]

وبعد هذه القصيدة تَوَضَّح في قريش حزبان: حزب يقوده أبو طالب ومعه رسالة محمد، وحزب يقوده رؤساء قبائل قريش ومعهم الأصنام، والثروات الضخمة...

* * *

مواقف أبي طالب الصلبة في دفاعه عن رسول الإسلام:

كان لأبي طالب وحزبه مكانة إجلال في قلوب رجال الحزب الثاني.. تلك المكانة ورثوها كابراً عن كابر، من هاشم إلى عبد

---

(1) تدعت: تجمعت. طاشت حلومها: ذهبت عقولها. ثنوا صعر الخدود: أمالوها كبراً.

(2) العود الذواء: اليابس، وانتعش: أخضر. الأكناف: النواحي، الأرومة: الأصل.

المطلب.. وكان الحزب الثاني يعرف شجاعة الهاشميين، ويخشى مضارب سيوفهم.. يضاف إلى هذا شيء آخر، كان يرتعد منه حزب قريش المشركة هو العرب سكان البوادي الذين يحيطون بمكة.

* * *

كان العرب ينظرون إلى أبناء مكة عامة نظرة إكبار يتخللها لون من التقديس فهم عندهم ـ أهل الله ـ لأنهم جيران بيته فإذا أوقد المشركون «الحزب الثاني» نار حربٍ أهليَّة بينهم وبين الهاشميين، فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى انحسار معنوياتهم من نفوس القبائل العربية، فيتجرؤون عليهم، وينهبون قوافلهم التجارية التي تمطرهم بالذهب، ومن يدري فقد يغزونهم في مساكنهم، كما يغزو بعضهم بعضاً.

ذلك كان تفكير حزب قريش ـ حزب الغنى، والأرستقراطيَّة والشرك ـ.

أما أبو طالب فإنه لم يفكر في دخول حرب مع قريش إلا دفاعاً عن النفس، لأنه أدرك ـ بعد الدرس الشامل الدقيق ـ أن الحرب في ذلك الحين ليست في صالح الرسالة التي جاء بها محمد من ربه العلي الأعلى.. فإذا تُرِك محمد يؤدي الرسالة دون أن يتعرض له أحد بأذى، فهو راضٍ. أما إذا ظهر خطر يتهدد محمداً، فإن أبا طالب سيقود المعركة بنفسه وليكن الذي عليه أَوْلَهُ.

تلكم كانت تقديرات الحزبين، وتقييم كل منهما لموقفه.

ووقف دهاة قريش ريشة في مهب الحيرة، والقلق النفسي، ماذا يفعلون؟؟

أيتركون مبادىء محمد تحتل البلد - تلك المبادىء التي تنزل بهم من سادة تعنو لهم الرقاب إلى أناس مثل كل الناس؟؟

ماذا يفعلون؟؟

لولا أبو طالب هذا الحصن المنيع الذي يضع محمداً في قلبه ويحميه منهم لهان الخطب..

وتآمر القوم.. وتشاوروا..

وسمع أبو طالب أنهم قرروا أن يغتالوا محمداً.. ثم ينتهي الأمر..

وبعد أن وصل إليه هذا النبأ بأيام، تَفَقَّدَ محمداً ذات يوم فلم يره.

فماذا فعل؟؟

أرسل، فأحضر جمرات الإباء من شبان هاشم، وطلب منهم أن يَتَقَلَّدَ كل واحد منهم سيفه، ويسدل فوقه رداءه ثم يذهبون فرداى، ومن جهات متفرقة إلى مجتمع قريش، وهناك يلزم كل واحد منهم رأساً من رؤوس كفرة قريش، دون أن يثير شبهه ثم قال موضحاً لهم السبب، تفقدت محمداً فلم أره، وأنتم تعلمون أن هؤلاء الطغاة عقدوا العزم على اغتياله.. وتابع فقال: أنا ماض للبحث عنه، فإن لم أجده جئت مجتمع قريش، فإذا

أبصرتموني، فشدوا أيديكم على مقابض سيوفكم، فإذا رأيتم يدي ترتفع ثم تهوي، فأشرعوا سيوفكم، واقطفوا الرؤوس قطفاً، وحذار أن تنصرفوا عن واحد منهم حتى يغدو حطاماً.

وذهب الشباب الأنجاد يصوغون أمر أبي طالب واقعاً حيًّا.. وانطلق هو يتحسس محمداً في كل مكان كريم... ولم يطل انتظار فتيان هاشم، فقد شاهدوا أبا طالب يطلع من إحدى الطرق، ومعه محمد رسول الله، فتهللت وجوههم فرحاً.. ولما وصل أبو طالب نادى: يا معشر قريش!!.

فالتفتوا، إنه صوت أبي طالب.

قالوا: ماذا يريد أبو طالب؟

- هل تدرون ما هممت به؟؟

فقالوا وقد أفزعتهم المفاجأة: ماذا هممت أن تفعل؟؟

فأخبرهم، وطلب من فتيان هاشم أن يكشفوا عن السيوف المخبأة.. ثم قال:

والله. لو قتلتم محمداً لما أبقيت منكم أحداً، أو نتفانى، نحن، وأنتم.

ثم تركهم آخذاً بيد رسول الله، ولحق به نجوم الإباء من هاشم.

* * *

كانت كلمات أبي طالب، وما فيها من عزم، وتصميم شيئاً

ضخماً ملأ قلوبهم هلعاً وأمسك بألسنتهم عن الكلام لقد كان موتهم محتماً لو أعطى أبو طالب «شارة السر» فأخذوا يلهثون، حتى لكأن السيوف فوق أعناقهم.. وفي اليوم الثاني، كان مجتمع مكة يغص بالقصيدة الجديدة التي يتهدد فيها أبو طالب قريشاً إن عرضت لمحمد بسوء...

إنه يقول:

ألا ابلغ قريشاً حيث حَلَّتْ
وكل سرائر منها غرور
فإني، والضوابح عاديات
وما تتلو السفاسرةُ الشهور(*)
لآل محمد راعٍ، حفيظٌ
وود الصدر مني، والضمير
فلست بقاطع رحمي وولدي
ولو جرت مظالمها، الجذور
أيَأْمُرُ جمعهم، أبناء فهر
بقتل محمد؟؟ والأمر زور
فلا، وأبيك، لا ظفرتْ قريش
ولا أمَّتْ رشاداً، إذ تُشيرُ
بني أخي، ونوط القلب مني
وأبيض، ماؤه، غدق، كثيرُ

(*) يقول تاج العروس: السفاسرة أصحاب الأسفار وهي الكتب الشهور: العلماء جمع الشهر.

ويشـــرب بعــده الــولــدان، ريــاً
وأحمــد، قــد تضمنــه الـقبــور
أيــابــن الأنف، أنف بني قصـي
كــان جبينــك القمــر المنيــر[1]

ويصغي حزب قريش إلى القصيدة الحارة يلفحهم زفيرها.. غير أنهم لا يثيرون عليه قولاً.. ولكنهم يلجون في إيذاء المؤمنين، وفي المكر بمحمد رسول الله.

* * *

وفي يوم رأى ابن الزبعرى ـ أحد شياطين الشرك ـ النبي يُصلي، فجمع أقذاراً، وألقى بها عليه، وهو ساجد. ويأخذ القوم بالتندر، والسخرية، ويفرغ الرسول من صلاته، وينطلق إلى عمه أبي طالب جريح الخاطر، يشكو إليه ما حل به.. ويهتز أبو طالب لما يسمع، ولما يرى، ثم يثب إلى سيفه، ويضع حمائله على عاتقه، ويمضي مع محمد إلى القوم.. فلما رأوه قادماً، متأبطاً سيفه، تضعضعوا، وهموا بالقيام، فأسرع في خطوه، وصرخ فيهم قائلاً:

والله، لئن قام رجل لأقصمنه بسيفي هذا، فقبعوا في أماكنهم.. ووقف على رؤوسهم يقول لمحمد:

يا بني!! من الفاعل بك هذا؟؟

فقال: هو ذاك وأشار إلى ابن الزبعرى.

فهجم أبو طالب عليه، ولطمه لطمة على أنفه تركته يسيل دماً.. ثم لطخه بتلك الأوساخ.. وعطف على الباقين يمر بها

---

(١) الأنف: السيد.

على لحاهم، حتى، إذا أتى عليهم جميعاً، نظر إلى محمد وقال له:

أرضيت يا ابن أخي؟؟!!

وتسألني من أنت؟؟

أنت النبي محمد قرم، أغر، مسود
لمسو دين أكارمٍ طابوا، وطاب، المولد
أنت السعيد من السعو د تَكَنَّفَتْكَ الأسعدُ
من لدنُ آدم لم يزل فينا وصيٌّ مرشد
ولقد عرفتك صادقاً والقول لا يتفند[1]
نعم الأرومة أصْلُها عمرو الحطيم، الأوحدُ[2]
هشم الربيكة في الجفان، وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة فيها الخبيزة تشرد
ولنا السقاية للحجيج بها يُماثُ العنجد[3]
والمأزِمان، وما حوت عرفاتها، والمسجد[4]
أنّى تضام؟؟ ولم أمت وأنا الشجاع، العربد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع، أسود

---

(١) الأبيات الثلاثة من مجمع البيان للطبرسي ـ راجع شرح آية النور ص /١٤٤/ ـ الجزء (٧ و٨).

(٢) عمرو اسم هاشم بن عبد مناف بن قصي.

(٣) يقول: إنهم كانوا يضعون التمر والزبيب في الماء ليحلو طعمه ويسقون حجاج بيت الله.

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب:
المأزم: كل طريق ضيِّقٍ بين جبلين، ومنه سُمِّيَ الموضع الذي بين المشعر وعرفة مأزمين، وفي الحديث: إني حَرَّمْتُ المدينة حراماً ما بين مأزِمَيْها» اهـ.

وبنو أبيك، كأنهم أسد العرين، توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً بالقول، لا تتزيد
ما زلت، تنطق بالصوا ب، وأنت طفل، أمرد

وخشعت قلوب الكفر، والمال، للتحدِّي، الثائر، الهادر، وهبطت القصيدة على مجتمع قريش، ولا سيما المؤمنين فراشات مجنحة، مضمخة بعبير الرياحين.. ولا بد أن الأطفال كانوا يجتمعون حلقات عند المساء، يرددون، بأصواتهم الرخصة:

أنت النبي محمد قرم، أغر مسود
ما زلت تنطق بالصواب وأنت، طفل أمرد

ولا يخالجني الشك في أن الرعاة اتخذوا من هذه القصيدة لحناً روحياً يغنونه بطاح مكة، وجبالها:

أنت النبي محمد...

فتهتز طرباً، وتشتعل سحراً، ولا يخامرني الريب في أنها تجاوزت بطاح مكة لتملأ أبعاد الجزيرة العربية سنابل حضارة... وأنفاس حرية. ولا جدال أنها ـ وهي يشدو بها الشادي، ويحدو الحادي ـ وجهت أفكار العرب إلى مكة أشد ما يمكن أن تتوجه قلوب الناس وأفكارهم إلى حادث مبدع جديد، ولا بد أن التساؤلات بدأت تملأ خيام القبائل: من هذا النبي؟؟

فإذا وجد من يقول: إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي.. راح السائل يقول: إنه نسب أغر، محلق في الثريا، ويستأنف، فيسأل: إلى أي شيء يدعو؟؟

هل آمنت به قريش؟؟

هل ينزل عليه وحي من السماء؟؟

أسئلة كثيرة، منها ما وصل إليهم جواب عنها، ومنها ما لم يصل..

كل ما عرفوه جملة.. أن القريشيين اختلفوا، فمنهم من آمن بنبوته ومنهم من كفر.. وأن عمه أبا طالب، صاحب الشعر يتولى حمايته من كل معتد أثيم.

* * *

شعـــر أبـــي طـــالـــب:

كان شعر أبي طالب يغزو النفوس بطراوته، وحلاوته، وصدقه في قوله كل قوله..

وإذا كان كفرة قريش قدَ استطاعوا أن يقفوا حجاباً كثيفاً دون انتشار الدعوة المحمدية، فإن شعر أبي طالب قد اخترق كل حجاب، وتغلغل نسائم لطافاً إلى كل القلوب، ولقـد أدرك طواغيت قريش ذلك، إنما ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟؟.

هل لهم قدرة أن يسيطروا على جمالات الذوق عند الناس؟؟

قالوا: إن شعر أبي طالب دعاية رصينة لمحمد ـ دعاية جذابة ترق حتى يتملّأها كل إحساس.

وتذمروا من أبي طالب ما وسعهم التذمر.. وأخذوا يقولون كأنما ينفسـون عما في وجودهم من كرب، وحقد هل صبأ أبو طالب؟؟

إنه يخاطب ابن أخيه فيقول له: أنت النبي محمد. . ويقول له: ما زلت تنطق بالصواب. . هل صبأ الرجل حقاً؟؟

إنه لم يعلن إسلامه، ولم نره يصلي مع الرسول، ولم نسمع أنه صلى معه، ومع ذلك فإن محمداً لا يقول عن نفسه أكثر مما يقول عنه عمه أبو طالب. ثم يتساءلون:

هل هي عاطفة الرحم التي تعبِّد له هذا الطريق؟؟ أم ماذا؟؟

ويتهكم آخرون على أصحاب هذه الفكرة فيقولون لهم:

ما بالكم يا قوم؟؟!!

هل جننتم؟؟

تتهمون محمداً بالجنون، وأنتم المجانين. . ثم يتابعون، فيقولون، مدللين على وجاهة رأيهم وسلامته: نحن نؤكد أن عاطفة الرحم قد تدفعه لحمايته من سيوفنا. . ولكن هذه العاطفة لا يمكن ـ مهما طغت ـ أن تدفعه إلى الاعتراف بنبوته إذا لم يكن مؤمناً بتلك النبوة.

إنَّ عليكم أن تكونوا على ثقة مطلقة أن أبا طالب مؤمن بنبوة ابن أخيه، وشعره خير شاهد على ذلك، ولكنه يكتم إيمانه، ويريكم أنه ما يزالُ على دينكم. . . وفي هذا ما فيه من تخدير لكم عن منازلته، وإيهامكم أن عاطفة الرحم هي التي تأخذ بخناقه وتضطره إلى مسلكه الصارم، فتجدون له العذر الكافي في وقوفه معه لحمايته.

ويترك هذا الرأي أثراً إيجابياً في نفوس القوم.. فيحدث لغط.. وكما حدث سابقاً ينفتح بينهم باب للجدال في هذا الشأن، كاد ينقلب إلى خصام، وشقاق.. ثم تجمعهم مصالحهم في حِزامٍ واحد، فيعودون إلى القول: والآن ما العمل؟؟

كانوا ـ وهم في سكرة الحيرة يضطربون، ماضين في تنفيذ خطتهم السابقة التي تتلخص في أمرين! ـ:

ـ التصدي بعنف قاتل للمؤمنين بدين محمد.

٢ ـ رصد محمد لاغتياله، ولكن بأسلوب مظلل بالغموض يأمنون معه وثبة أبي طالب عليهم...

* * *

إسـلام عثمـان بـن مظعـون:

وتمـر الأيـام، وهم، هم، في حيـرتهم.. وعنفهـم.. وترقبهم.. ويترامى إليهم صباح يوم أن أبا السائب عثمان بن مظعون قد دخل في دين الله. وعثمان بن مظعون له شأنه وله خطره، فهو شجاع، وهو معروف بالحكمة..، وسينجم عن إسلامه حركة تأييد لمحمد، فزحفوا إليه يسلكونه في أغْـلالِ التنكيل.. ويطير الخبر إلى أبي طالب، أن عثمان بن مظعون يعذب في ذات الله، فيلبس سلاحه، وينقض عليهم عقاباً على قطا.. ويستله من مقامع العذاب ثم يقول في ذلك:

أمن تَـذَكُّـرِ دهـر، غيـر مـأمـون
أصبحت مكتئباً تبكي، كمحزون؟؟

أم من تـذكـر أقـوام ذوي سفـه
يغشون بالظلم، من يدعو إلى الدين؟؟
ألا تـرون، أَذَلَّ الله جـمعكـم؟
أنّـا غضبنـا لعثمان بن مظعـون؟؟
ونمنـح الضيم من يبغي مضيمتنـا
بكـل مطرد، في الكف، مسنـون
ومـرهفاتٍ، كـان الملح خالـطهـا
يشفى بها الداء، من هام المجانين
حتى تقـر رجـالٌ، لا حلومَ لهــا
بعـد الصَّلابَةِ، بـالإسمـاح، واللّين
أو تؤمنوا، بكتاب، منزل، عجب
على نبي كموسى، أو كذي النون

وما إن يفرغ أبـو طالب من قصيـدته هـذه، حتى تتلقفها الأذهان، وتتداح في مجتمع مكة أمواجاً من التساؤلات ماذا فعلوا بعثمان بن مظعون؟؟

كيف يعذبونه وهو الرجل العاقل الحكيم؟؟

إن أبا طالب غضب له، وأجاره منهم. . وها هو ذا يدعو عليهم فيقول لهم: أذل الله جمعكم. . ويرددون البيت بإعجاب وحبور:

ألا تــرون، أذل الله جـمـعـكـم
أنـا غضبنا لعثمـان بن مـظعـون،

ويسري بين القوم حديث هامس: إنَّ دعـوات أبي طالب

مستجابة مثل دعوات والده عبد المطلب، ولا ريب أن الله سوف يذل هؤلاء الذين يكيدونه.. ولا ريب أن ابن أخيه محمد الصادق، الأمين، سوف ينتصر.. ذلك، كان حديث مجتمع الفقراء، والمساكين، والصالحين، في مكة.

وكان جواب عبدة المال والطاغوت على تلك القصيدة، ولا سيما البيت الأخير الذي يصف القرآن بأنه منزل من الله على نبيه محمد: وإنه يحدث في النفس انفعالات تخشع القلب، وتسحر العقل، لذلك فهو كتاب عجيب، لم تَعْرِفِ الأرض مثله؛ كان جوابهم استكباراً، وعتواً، ونفوراً.

قالوا: إذا كان أبو طالب يرى ابن أخيه نبيًّا، فنحن لا نراه إلا شاعراً يلبسه طائف من الجن..

وقالوا: لن نؤمن بدين يجعل أراذلنا أنداداً لنا..

* * *

إسلام ابن عبيد الأسدي المخزومي:

وبينا هم، في صلفهم غارقون جاء من يقول لهم. لقد ربح أبو طالب سيفاً من سيوف بني مخزوم.. لقد أسلم ابن عبيد الأسدي..

ويَتَوَجَّعُ بنو مخزوم لهذا العار الذي لحق بهم.. ويركضُ وجوههم إلى ابن عبيد، ليعمدوه بنهر من حميم، أو يكفر بمحمد.. فيجفل المخزومي إلى أبي طالب يحتمي به.. وما تلبث إلا قليلاً عند أبي طالب حتى جاء وفد من قومه المخزوميين يطلبون من أبي طالب أن يسلمهم ابن عمهم، وحجتهم، أنه

ليس من الهاشميين ليجيره أبو طالب عليهم.

قالوا: يا أبا طالب!! هبك منعت ابن أخيك محمداً، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا؟؟

فقال لهم: إنه استجار بي، وهو ابن أختي، وإذا أنا لم أمنع ابن أختي، لم أمنع ابن أخي(*).

ويرجع المخزوميون يعصف بهم غضب أسود يجعل أفئدتهم تنز ألماً.

ويذهبون إلى عباقرتهم يطلعونهم على رد أبي طالب عليهم. فيدمدمون قائلين: لقد تمادى أبو طالب في تأييد محمد.. ولقد جمح استهتاره بنا.. لنرينه أينا أشد كيداً، وأكثر ناصراً، وأمضى عزماً..

وتناجوا: لنفرغ إلى هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مؤمنين، ولنأخذهم بالبأساء، والضراء.

وانسابوا يبطشون بالمسلمين.. كان عملهم تحدياً سافراً لأبي طالب.

ولاذ المؤمنون بمحمد نبيهم، فانحاز بهم إلى عمه أبي طالب..

ويبدأ حوار عقلاني بين النبي العظيم، وعمه البطل.. وإذا محمد يرى رأياً.. وَيُناقَشُ الرأي الحكيم بدقة، فإذا هو قبس

(*) قال ابن الأثير في «أسد الغابة ـ الجزء الثالث، صفحة /١٩٠/: اسْمُهُ عبد الله ابن عبد الأسد.. من مخزوم، يكنى أبا سلمة، أمُّه بَرَّة بنت عبد المطلب» ولذا قال لهم أبو طالب: هو ابن أختي..

حكمة. . ويطرح الرأي أمام المسلمين فيتنابهم ذعر مذهل. .

الهجـرة إلــى الحبشـــة:

قال لهم رسول الله: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. .».

وَيَنْظُرُ المسلمون بعضهم إلى بعض.

أيتركون الرسول في غابة الذئاب، ويمضون هم إلى دار السلام؟؟

ولكنه، هكذا يرى، وهو رسول الله، وهم لا يرون ـ وقد أصفى الإيمان سرائرهم ـ مناصاً من تنفيذ أمره.

وتبدأ الهجرة إلى الحبشة في رجب العام الخامس للبعثة المحمدية وتتم على مرحلتين، ويرتفع عدد المهاجرين حتى يَبْلُغَ ثلاثة وثمانين رجلًا، وثماني عشرة امرأة. . وعلى أثر الهجرة تبدأ الوساوس تنبت في ضمائر المشركين.

لقد خافوا أن تقوم للمسلمين قائمة في أرض الحبشة، فيعودون إليهم أقوياء، أشداء.

وفي ناديهم ينتظمهم اجتماع سري ينصرفون فيه إلى تحليل الأمر الجديد ودراسته. . وأنهوا الاجتماع بعدما أجمعوا على «خطة عمل» حسبوا أنها ستكون سبباً لجعل الدعوة المحمدية ذكرى للذاكرين. .

تلك الخطة هي أن يُرسلوا وفداً إلى مليك الحبشة ويقدموا إليه

مع الوفد بعض الهدايا، ويطلبوا منه أن يسلمهم أقاربهم الضالين فيسلمهم إياهم، فيجيئون بهم، ولا يرون أفضل من أن ينحروهم قرابين «لهبل» ربهم الأعلى.

قالوا وقد نشط الحبور في أعصابهم: أَيَظُنُّ أبو طالب ومحمد أن أيدينا لا تصل إليهم.. ولكن سيرى أبو طالب وابن أخيه محمد ومن معهم أنهم لن يفلتوا من قبضة أيدينا..

وضحكوا طويلاً..

وقال أبو سفيان.. لم يَبْقَ إلاَّ أن نختار الوفد.

ولكن، من يختارون لهذه المهمة؟؟

وفد قريش إلى النجاشي مليك الحبشة:

إنهم يريدون أن يكونَ رئيسُ الوفد رجلاً عنده دهاء، وفي دهائه مكر، وفي مكره كيد، وفي كيده غدر.. وهو في غدره يتشهّى أن يدوس كُلَّ أقداس الإنسانية إذا خالها تحجزه عن تحقيق غايته..

وأخذوا يعرضون الأسماء، وكلما اقترح اسم، وُجد من يقول: إن به خوراً.. أو إن به تردداً.. أو إن لباقته في معالجة القضايا المعقدة تحتاج إلى نضج أوفى.. أو.. أو..

ويتطاول أحدهم بعنقه فيقول: أنا أقدم لكم اسم الرجل الذي يستطيع أن يقوم بهذه السفارة بينكم، وبين ملك الحبشة على وجه تام الإتقان، وفيه جميع الصفات التي أنتم عنها تفتشون.

قالوا: ومن هو ذاك؟؟ قل؛ فقد تعبنا من استعراض الأسماء. .

فقال: إنه عمرو بن العاص.

عمرو بن العاص؟؟

وأحضر كل منهم في ذهنه ابن العاص. . فإذا هم يوافقون على اختياره رئيساً للوفد بلا معارض، وأصحبوه عبد الله بنَ أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي. . وقالوا: في عمرو غِنىً عن خمسين من الدهاة.

وفي جنح ليل ينطلق الوفد إلى الحبشة، ومعه الهدايا النفيسة، وترى ابنة عمرو بن العاص أباها يعد نفسه لرحلة طارئة فتسأله إلى أين يا أبتِ؟؟!!

فيجيبها قائلاً:

تقول ابنتي: أين أين، الرحيلُ
وما البين مني بمستنكر؟؟
فقلت: دعيني، فإني امرؤ
أريدُ النجاشيَّ، في جعفر[1]
لأكويه عنده كية
أقيم بها نخوة الأصعر
ولن أنثني عن بني هاشم
بما اسْطَعْتُ في الغيب والمحضر

(١) هو جعفر بن أبي طالب الذي كان مرجع المهاجرين من المسلمين في الحبشة، والنجاشي: ملك الحبشة.

وعن عـــائب الـــلات في قـــولـــه
ولـولا رضى اللات، لم تمـطر[1]
وإنـــي لأشـــنـــا قـــريشٍ لـــه
وإن كـان كالـذهب الأحمـر. .[2]

ويمضي عمرو بن العاص حاملاً حقده العتيد لبني هاشم عامة، ولمحمد الذي يعيب اللات، خاصة ولدى وصوله إلى بلاط ملك الحبشة يطلب مقابلته، فيسمح له بالدخول، فيسلم عليه ويقدم الهدايا إلى الملك وبطارقته. . ثم يبدأ بتزويق عبارات الإطراء للملك. . ثم يخلص إلى التحدث عن الغاية التي قصد الملك من أجلها. .

حَدَّثَهُ عن المسلمين الذين لجؤوا إليه. . حدثه عن كفرهم بالآلهة. . حدثه عن تفريقهم جماعتهم. . حدثه عن اختلاقهم ديناً جديداً، غير دينهم، وغير دين الملك، ووسوس له شراً خطيراً هو أنهم سيفسدون عليه بلاده، كما أفسدوا مكة على أهلها. . ثم رجا منه أن يسلمهم إليه، ليرى أبناء عمهم فيهم رأيهم. . فتجتمع بذلك كلمة قريش جيرانه، ويحمدون له عمله ويظل بلده ناعماً بالصفاء. .

ولكن النجاشيَّ الملك جعل الخيبة تبتلع براعة ابن العاص حين قال، أحضروا جماعة المسلمين.

---

(١) عائب اللات هو محمد رسول الله، واللات من آلهتهم الصَّنمية، يقول ابن العاص: إذا لم ترض اللات لا ينزل مطر.

(٢) أشنا: أبغض.

ولما حضروا طلب منهم أن يقدموا أحدهم للكلام، فتقدم جعفر بن أبي طالب.

سأله النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم؟؟

فقال له جعفر: أيها الملك!! كنا نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ويأكل القوي منا الضعيف، فبعث الله إلينا رسولاً منا، فدعانا إلى الله نُوحِّده، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا بالصلاة والزكاة فصدقناه فعدا علينا قومنا فعذبونا ليردونا إلى ما كنا عليه وقهرونا فخرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟؟

ـ نعم.

ـ فاقرأ عليّ.

فقرأ عليه بصوت دافىء مطلع سورة مريم.

* * *

كان وقع الآيات على الملك وبطارقته مؤثراً.. لقد دغدغت تلك الآيات عاطفة الإيمان في قلوبهم، فحركتها.. فإذا هم يبكون.. إذا دموعهم تنسكب على لحاهم قطرات ندى لعمق تأثرهم.. ورأى عمرو بن العاص ذلك، فأيقن أن كل جهوده قد طارت هباء، ولبث ينتظر كلمة النجاشي الأخيرة، فإذا هو يقول: إن

هذا، والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة. . ثم يوجه كلامه إلى ابن العاص وصاحبه فيقول لهما: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما.

وهكذا ينفض المجلس، بعدما قَلَّدَ ابن العاص طوقاً من الخذلان، ولكن، هل اندحر عمرو بن العاص؟؟

كلا! إن في جعبته سهماً آخر مسموماً، سيرمي به المسلمين فيصيب، منهم المقتل، ويظفر برضى النجاشي، فيسلمهم إليه.

قال لصاحبه: لآتينهم غداً بما استأصل به خضراءهم.

فقال له صاحبه ابن أبي ربيعة المخزومي: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا.

إنما، هل يسمع ابن العاص نصيحة ناصح؟؟

إنه يريد أن يرجع بالقوم أسارى إلى رؤساء قريش وسوف يقتحم كل صعب لتحقيق هذه الغاية، لا تعطفه رحم ولا يفض قلبه بقطرة رحمة لقرابة. . يجب أن يجند لنيل مآربه كل الوسائل التي تُلقي بطلبته في شراكه. .، لذلك فإنه استأذن في صباح اليوم الثاني، ودخل على النجاشي يقول له:

أيها الملك العظيم!! إن هؤلاء يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ. . هذا قول عظيم يا جلالة الملك!!!.

هكذا، يُمَوِّجُ بقوة مشاعر النقمة في نفس الملك على المسلمين. .

ولكن الملك ظل على اتزانه، ولم يغضب.. كل ما عمله أنه أرسل إلى المسلمين، فأقبلوا إليه يزفون، فلما دخلوا عليه قال لهم:

ما تقولون في عيسى بن مريم؟؟

سؤال في جوابه حرج، وأي حرج، ولكن جعفر بن أبي طالب نهض رافعَ الجبين يقول: نقول فيه الذي جاء به نبينا..

وماذا قال عنه نبيكم؟؟

إنه يقول عنه: هو عبد الله، ورسوله، وروحه وكلمتُه ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

واستعظم ابن العاص جرأة جعفر، واطمأن إلى أنه ظفر بصيده الثمين، وصَوَّرَتْ له شهوات نفسه أن الملك سينقلب ناراً تتلظى بالغضب.. وأخذ في مراقبته. هو ذا يريد أن يتكلم.. سيأمر بتسليمهم إليه.. وَيَتَكَلَّمُ الملك، فإذا هو يقول ـ بعدما أخذ بيده عوداً من الأرض ـ: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود..

ثم قال لجعفر ومن معه: اذهبوا فأنتم عندي آمنون.

وقال لأحد وزرائه: رُدّوا على عمرو بن العاص هداياه، فلا حاجةَ لنا فيها.

وقام ابن العاص مدحوراً، مذموماً، يتعثر في أذيال الخسران.

* * *

ويسمع أبو طالب بمكر قريش، وكيدها، فإذا هو يكتب إلى

ملك الحبشة يرش عليه عبير الثناء شعراً حلالاً فيقول:

ألا ليت شعري، كيف في الناس جعفرٌ
وعمرو، وأعداء النبي الأقارب؟؟
وهل نال إحسانُ النجاشيِّ جعفراً
وأصحابه؟؟ أم عاق عن ذاك شاغب؟؟

ثم يخاطب النجاشي فيقول له:

تَعَلَّمْ، أبيت اللعنَ. إنك ماجد
كريم، فلا يشقى إليك المجانب[1]
تَعَلَّمْ، بأن الله، زادك بسطة
وأسبابَ خيرٍ، كُلُّها، بك، لازبُ
وإنك فيضٌ، ذو سجال غزيرة
ينال الأعادي نفعه، والأقارب

وتستعير الأبيات أجنحة من الضوء، فإذا هي تسقط بعد برهة قصيرة على مليك الحبشة، فيقرؤها.. يا للعزة!! حلم مكتنز بالروعة.. سيد البطحاء، أبو طالب الهاشمي، عم رسول الله يغدق عليه الثناء أطياباً.. إنها لمفخرة ساطعة جعلت الفرحة تتفجر ينابيع في صدر النجاشي، وجعلته يذهب في إكرام جعفر ومن معه من المسلمين إلى أقصى غاية الإكرام.. فيكتب جعفر إلى والده أبي طالب بذلك.. فيتألق أبو طالب عافية.. وينشط إلى نظم الشعر، ويبعث بما ينضده من در إلى النجاشي،

---

(١) أبيت اللعن: تحية الملوك، ومعناه لا أصابك ما تكره.

وسرعان ما تصله الرسالة الشعرية الثانية فيفضها، فإذا فيها:

تعلم، مليك الحبش أن محمداً
نبي، كموسى، والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
فكلٌ بأمر الله، يهدي لمعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم
بصدق حديث، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله نداً، وأسلموا
فإن طريق الحق ليس بمظلم
وإنك ما تأتيك منا عصابة
لقصدك، إلا أُرجعوا بالتَّكَرُّمِ

لقد أحب أبو طالب النجاشي مليك الحبشة، لما ينطوي عليه من خلق سمح، كريم، وأحبه لإكرامه ابنه جعفراً ومن معه من المسلمين، وأحبه لأنه أعاد عمرو بن العاص مخذولاً، مقبوحاً.. ومن قلب هذا الحب المطيب بالنقاء، حتى لكأنه عسل مصفى.. جاء يدعوه إلى النعيم الأبدي، جاء يدعوه إلى مرابع الهدى، والنور جاءَ يدعوه إلى الإيمان بنبوة محمد، لأنه نبي «مثل موسى، وعيسى» وقرآن محمد نزل مصدقاً للحقائق الذاتية التي احتوتها الكتب السماوية التي أوحى الله بها إلى الأنبياء السابقين.. ولا يتركه مضطرب النفس، بل يقدم له البرهان الثابت على نبوة محمد من إنجيل عيسى.. ثم يدعوه بعد ذلك إلى الإسلام الذي يرفع في المجتمع الإنساني بناءً أخلاقياً راسخاً.. ثم يطلب منه

أن يعبد إلّهاً أحداً لا ثاني له، لأن خلق السماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما، يدل على إلّه واحد لا شريك له، لذا فهو يقول له:

فــلا تجعلوا لله نـداً، وأسلمــوا
فــإن طـريق الحق ليس بمــظلم

ثم يختم شعره ببيت يطري فيه كرم النجاشي للمهاجرين من المسلمين، فيخاطبه قائلاً:

وإنـك مـا تـأتيك منـا عصابـة
لقصــدك، ألا أُرجعـوا بــالتكـرم

* * *

أبو طالب لا يحمل راية الجهاد في سبيل الإسلام فحسب بل يحمل راية الدعوة إلى الإسلام أيضاً، فهو ذا يدعو النجاشي المليك إلى الإيمان بنبوة محمد المذكورة في الإنجيل، ويدعوه إلى توحيد الله، وتنزيهه عن الشريك، فيستجيب النجاشي لدعوة أبي طالب، فيسلم، ولكنه يكتم إسلامه عن بطانته المتعصبة للمسيحية، وعندما يبلغ الرسول موت النجاشي يصلي عليه ـ وهو في المدينة ـ صلاة الغائب، ويدعو له بالمغفرة والرضوان.

ويسمع المترفون، البطرون، من قريش شعر أبي طالب الذي أرسله إلى ملك الحبشة في المرة الأولى والثانية، فينقلبون إلى بعضهم متعجبين.. يتساءلون فيما بينهم:

ما هذا؟؟

ألا يكفي أبا طالب أن ينصر ابن أخيه علينا، ويدعونا إلى الإيمان بدينه، حتى يكتب إلى ملك الحبشة ـ وهو مسيحي ـ يدعوه إلى الإسلام؟؟

وتتلون سحنهم، حتى كأنها حرباء. .

ومن جديد يتساءلون مستغربين: كيف فعل أبو طالب ذلك؟؟

أما خشي من النجاشي غضبة تدفعه لقتل المسلمين، أو طردهم من بلاده؟؟

وراحوا يقولون: إن أبا طالب شجاع، هذه حقيقة جوهرية نعرفها فيه، وفي البيت الهاشمي، ولكنه يغلو في جرأته حتى ليصح أن تسمى طيشاً.

ويصعد أبو سفيان نفساً حاقداً ويقول: لقد ذهبت بها عريضة يا أبا طالب. . لقد ذهبت بها عريضة. .

وبينا هم يسبحون في بحر من التعجب يقوم أحدهم فيقول: لا تعجبوا يا قوم!! إن إيمان أبي طالب. . إيمانه القلبي المطلق بمبادىء محمد، هو رائده في كل ما يقول، وفي كل ما يفعل، وسوف ترون، وسوف تسمعون منه أكثر مما سمعتم، ورأيتم.

* * *

كان أبو جهل يقوم، ويقعد، ويلهث، كأن داءً حاداً يمتص دم الحياة من قلبه قطرة، قطرة. . وأخيراً أقْعى في زاوية من النادي وغاص في أوحال وساوسه. . ثم إذا ضحكة هوجاء تنبعث منه، فتأخذ بأعناق القوم إليه، ويسألونه: ما يضحكك يا أبا جهل؟؟!!

فقال: سأكفيكم محمداً.. وليكن الحشر الذي يخبر عنه قرآن محمد فسألوه: كيف يا أبا جهل؟ حذار أن توقعنا مع أبي طالب في حرب آكلة فقال: لا تخشوا عنتاً فسوف ترون أن الجسد هشيم بعد فصل الرأس عنه.

وصمت.. وصمتوا.. دون أن يسألوه بياناً عن السر الرهيب الذي التوى عليه.

وفي اليوم الثاني انسل أبو جهل يرصد محمداً.. حتى إذا رآه قد خشع في صلاته، انكب على حجر يحمله جهد طاقته، ويرفعه بين يديه، يريد أن يطوح به على رأس محمد وهو ساجد..

وسجد الرسول، وبرقت عينا أبي جهل بالغدر، ورفع الحجر بأقصى ما يستطيع، وأهوى به على رأس محمد، ولكن، ما هذا؟؟ لقد لصق الحجر بيديه المتشنجتين، فهو لا يُفارقهما، ويحاول أبو جهل مراراً أن يلقي الحجر على رأس محمد، غير أن الحجر يتشبث بيديه فلا يزايلهما.. وتنهزم شجاعة أبي جهل، فإذا هو يبدو تافهاً أمام نفسه.. إذا هو يحس أن الدم الذي يجري في عروقه قد استحال تياراً من الفزع ـ فزع يروي كل ذرة في وجوده، فيبتعد عن الرسول مهرولاً، ويرمي بالحجر من بين يديه فَيَنْحَدِرُ إلى الأرض، ويحدث وقعه دوياً يزيد أبا جهل فزعاً.. فيركض.. ويركض.. وكأن به جنوناً.

ويراه أصحابه قادماً، وهو يكاد يتقصف جزعاً.. فينهضون إليه يسألونه:

ما بك يا أبا جهل؟؟!! ما لوجهك خاوياً من نقطة واحدة من الدم؟؟ ما لعينيك تكادان تثبان من محجريهما؟؟ ما أصابك؟.

كان أبو جهل يلهث تعباً، فزعاً. . كان حلقه وشفتاه كأنهما رمال الصحراء من الجفاف. .

فأجلسوه، وأحدقوا به متألمين لما أصابه، وقدموا له الماء يرطب شفتيه، وحلقه. .

وعادوا يسألونه: ماذا دهاك؟؟

وبعد دقائق مترعات بالألم، يتكلم أبو جهل ـ يتكلم وما تزال رعشة الخوف نغماً باكياً في صوته ـ فيقول:

محمد. لقد سحرني محمد.

سحرك محمد؟؟؟

كيف؟؟ إنا لا نعلم له معلماً في السحر.

فيقص عليهم خبره. . وإذا هم يستسلمون إلى ضحك متصل. . إذا هم يقولون له هازئين به:

أنت جبنت، لعلك تصورت أبا طالب يرفع سيفه فوق عُنقك ليحتزه، فجئت تشتدُّ ركضاً، وتركت محمداً ناعماً بصلاته. .

وقال: وقالوا. . وانقسموا بين مصدق، ومكذب. . ثم تفرقوا يتحدثون بالخبر، الطريف، الغريب. .

* * *

وَيَبْلُغُ النبأ أبا طالب. . فإذا هو يسجل معجزة حجر أبي جهل

في القصيدة التالية:

أفيقـوا، بـني عـمـنـا، وانـتـهـوا
عن الغي، في بعض ذا المنـطق

وإلاّ، فـإنـي، إذاً، خـائـفٌ
بـوائـقَ فـي داركـم تـلـتـقـي

تـكـون لـمـن بـعـدكـم عـبـرة
ورب الـمـغـارب والـمـشـرق

كـمـا ذاق من كـان مـن قبـلكم
ثـمـود، وعـاد، فـمـاذا بـقي؟؟

غـداة أتـتـهـم بـهـا صـرصـر
ونـاقـة ذي العـرش إذ تستقي

فـحـل عليـهـم بـهـا سـخـطة
مـن الله، فـي ضـربـة الأزرق

غـداة يـعض بـعـرقـوبـهـا
حـسـام من الـهـنـد، ذو رونـق

وأعـجـب مـن ذاك فـي أمـركـم
عجـائب في الحجـر، المـلصق

بـكف الـذي قـام فـي جـنـبـه
إلى الصـابـر، الصـادق، المتقي

فـأثـبـتـه اللّهُ فـي كـفـه
على رغم ذا الـخـائن، الأحـمق

هذه القصيدة أطلقها رسولاً عنه إلى أبناء العم من قريش.

إنها قصيدة صاغتها عاطفة حب صادق يكنه لهم.. أبو طالب ـ وهو يخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب قوم عاد، وثمود، حين كذب كل منهم رسوله ـ يقول لهم بلطف يتحلب ليناً، ورقة:

أفيقــوا بـني عـمنــا!! وانـتهــوا
عن الغي، في بعض ذا المنـطق

كم هو عذب آخذ بالقلب نداؤه: يا بني عمنا انتبهوا من غفلتكم فإن محمداً نبي الله حقاً، فلا تنسبـوا ما تـرونه من معجزات خارقة إلى السحر، فإن السحر أباطيل، وتلك حقائق مصدرها الله رب العالمين، وكلكم يعلم أن قريشاً لم تعرف السحر، فلم تتهمون محمداً بالسحر؟؟

ولا نرى حرجاً أن نتساءل: لماذا يوجه إليهم أبو طالب ذلك النداء العاطفي المشرق بالبهاء؟؟

إنه هو نفسه يجيب على هذا السؤال: إنه يخشى أن يحل عليهم غضب من الله إن لم يؤمنوا بمحمد نبياً، ومن يحلل عليه غضب الله. فإنه يهلكه، خوفه عليهم من الدمار، والنار، جعله يقول لهم:

وإلا، فــإنــي، إذاً خــائــف
بــوائــق فــي دوركــم تـلـتــقــي

ولكن، ماذا جنى أبو طالب من ذلك التحبب، ومن ذلك التحذير؟؟

لقد قابلوا عاطفته الخيرة بالإصرار على العداوة، قابلوا حب

الإنسان ونصحه البريء بمخالب الإنسان الوحش الذي تعرى من الإنسانية.

قالوا: أرأيتم كيف يستدرجنا أبو طالب للدخول في دين ابن أخيه محمد؟؟

إنه يَخَـافُ علينا مثل قارعة عاد، وثمود، إذا لم نشهد أَنَّ ابن أخيه رسول من الله.

ولكننا آذينا محمداً أعمق أذى، ورفضنا أن نؤمن بنبوته أقسى رفض، فلم لم يدعُ ربه ليسقط علينا كسفاً من السماء؟؟

وقالوا: أبو طالب يرى أن سحر ابن أخيه الذي سلطه على أبي جهل معجزة إلّهية.. وهنا يرفع أبو جهل رأسه الخفيض ويومىء إليهم بالسكوت ليقول: أرأيتم كيف يتهجم عليّ فيصفني بأني أحمق، لأنني تعمدت قتل محمد؟؟.

ويتصدى ثان فيقول: أبو طالب مؤمن بدين ابن أخيه ـ هذا الدين الذي مزق وحدة مجتمعنا، هذا الدين الذي يغير تفكيرنا وعاداتنا، ومعتقدنا ـ هذا الدين الذي يجعل خادم أحدنا مِثْلَهُ في الحقوق والواجبات، أبو طالب يعجبه هذا، وهو يريد أن يرينا أن دين محمد خير الأديان حين يقول:

ولقـد علمت بـأن دين مـحمـد
من خيـر أديـان البـريـة دينـا

ويتلون آخر بنار البغضاء فيقول: إن محمداً يستمد قوته في ثباته من عمه أبي طالب..

هلاَّ تذكرتم قوله حين خنع محمد للمذلة التي أكفأها عليه ابن الزبعرى، وذهب يشكوه إلى عمه؟؟

لقد جاء أبو طالب يغلي غيظاً، وأهان ابن الزِّبَعْرى، وكل سادة قريش الذين كانوا حاضرين، ثم أمسك بعضد ابن أخيه يقول له:

أنت النبيُّ محمد قَرْمٌ، أغَرُّ، مُسَوَّدُ

إنه يريد أن يجعل من ابن أخيه شخصية معنوية يفرضها علينا فرضاً.

ويتحرك عمرو بن العاص ليقول: لقد رأيتم أبا طالب يدعو ملك الحبشة المسيحي إلى الدخول في دين محمد؟؟

وانتصب آخر قائماً فقال: إن أبا طالب يؤكد لهذا الملك أن إنجيل عيسى نص على نبوة محمد.. ويقاطعه ابن العاص فيندفع يقرأ قول أبي طالب بسخرية:

تَعَلَّمْ مليكَ الحَبْش أَنَّ محمداً
نبيٌّ، كموسى، والمسيحِ بن مريم
وإنكم تتلونه في كتابكم
بصدق حديث، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا
فإن طريق الحق، ليس بمظلم

ثم يعقب فيقول: هل أعجبكم ذلك يا قوم؟؟

وتتعالى الضحكات.. ويشمخ التندر..

ويقول قائلهم: لقد جن أبو طالب..

ويفتح كل منهم جهاز ذاكرته ليتلوَ بيتاً من شعر أبي طالب في إيمانه بنبوة محمد.. ثم يجمعون على القول: لولا أبو طالب لانتهينا من أمر محمد منذ حين من الزمن.

ويتحمس أبو سفيان فيقول: إلى متى نصبر على جنون هذا الرجل؟؟

إن الناس يدخلون في دينه أفواجاً، وقد سمعت به كل القبائل العربية.. وكثير من أفرادها قدموا مكة فدخلوا في دينه..

إنكم، إن صبرتم طويلاً فلن تشعروا إلاَّ والخيل تأخذكم من كل جانب، فتندمون، ولات حين مندم..

وارتفعت الأصوات: صدق أبو سفيان، يجب أن نقوم بعمل نتخلص به من محمد وعمه أبي طالب.. فيقول خالد بن الوليد: ما هذا العمل؟؟

كلهم يبحث عن جواب على هذا السؤال ينزل شفاء على الجراح التي أحدثها في قلوبهم بغضهم لرسالة محمد التي يرونها وبالاً عليهم، لأنها تحرر الناس من الظلم، وتجعلهم إخواناً.

ويجتمعون في اليوم الثاني.. وتبدأ الاقتراحات تتوالى بسرعة، حتى لكأن القوم في معركة، كل منهم يقذف بسهمه على شبح العدو الجاثم وراء الخيال.

* * *

المقاطعة:

ويجمع أصحاب الرأي منهم تلك المقترحات في مصنف واحد، ويأخذون بفرزها، ودراستها، واحداً، فواحداً..

كثيرون يرون أن يعلنوا على الهاشميين حرباً تدمرهم تدميراً.. ونوقش هذا الرأي على مهل، ولكنه طوي، لأنهم مَحَّصوه سابقاً فتبين لهم أن نتائجه تستحوذ عليها ظلمات الغموض.. وناقشوا مقترحات ثانية وطووها.. وانتهوا من مناقشة الاقتراحات إلى لا شيء.. ومن بين القوم يرتفع صوت ـ لم يذكر التاريخ اسم صاحبه ـ فيقول: لنقاطعهم.

لقد ارتاحوا إلى هذا الاقتراح.. وخيل إليهم بلا تفكير أن فيه لهم انتصاراً، ولكن، كيف يقاطعونهم؟؟

هل يمتنعون عن مجالستهم، والكلام معهم؟؟

وطفقوا يدققون في كلمة «المقاطعة».. ويقلبونها على شتى الوجوه، فرأوا، أنه لا مفر لهم من قبولها.

إنما، كيف يجب أن تتم المقاطعة التي تجلب لهم الظفر المنشود؟.

إن في كلمة «مقاطعة» إبهاماً، لأنها تعني أشياء كثيرة.. وهم يريدون أن يحددوا لها معنى واضحاً خالياً من الإبهام، ليصبح الجميع على معرفة، كيف يَتَقَيَّدون بها؟؟ وكيف ينفذونها؟؟

ومن جديد ينفتح باب الحوار على «المقاطعة»، ويتراوح تحديد معناها بين مد، وجزر.. وإذا القوم يهتدون إلى تعريف

للمقاطعة يرضي حقدهم فيقولون: نقاطعهم، فلا نشتري منهم، ولا نبيعهم، ولا نتزوج منهم، ولا نزوجهم منا، أو يعودوا في ملتنا.. وبهذا اتضحت أبعاد معنى كلمة «المقاطعة».. وعندما توضح هذا المعنى في أذهان الجميع هتفوا بسرور: هذا هو الرأي الصواب.. اتركوهم يموتوا جوعاً.. أو يهاجروا من جوارنا.. أو يعودوا إلى رأينا.. وتنادوا: هلموا، نكتب بيننا عهداً على ذلك.. وكتبوا العهد، ووقعوا عليه، ثم علقوه على جدار الكعبة، توكيداً للحفاظ على العهد.

* * *

إن من عادة الناس أن يتعاهدوا على أمر ما.. جلباً لنفع.. أو دفعاً لضرر. كما توحي إليهم مصالحهم الذاتية.. وقريش نفسها مارست هذا النوع من المعاهدات.. فقد أبرموا بينهم حلفين قبل البعثة المحمدية.

الحلف الأول سمي حلف «المطيبين» وخلاصته: إن هاشماً والمطلب، وعبد شمس أبناء عبد مناف بن قصي نفسوا على بني عبد الدار بن قصي أبناء عمهم أن يكون لهم الحجابة، واللواء، والسقاية، والرفادة التي خصهم بها والدهم قصي، ورأوا أنهم أولى منهم بذلك، لأن لهم شرفاً، وفضلاً في قومهم أكثر من بني عبد الدار.. وحمي النزاع بينهم، فإذا قريش تنشطر قسمين: قسم مع بني عبد الدار، وقسم مع بني عبد مناف، وتحالف أفراد كل فريق أن لا يتخاذلوا، وأن لا يتخلى أحد منهم عن الآخر.

وفي الكعبة حيث جرى التحالف بين بني عبد مناف ومؤيديهم

قدم بنو عبد مناف جفنة طافحة بالطيب، فكان القوم يغمسون أكفهم فيها بعد العهد، ثم يلصقونها بجدار الكعبة رمزاً للثبات على العهد، فسموا، لذلك المطيبين وتعاهد بنو عبد الدار مع حلفائهم عند الكعبة أيضاً فسموا الأحلاف.

وأخذ الفريقان يعدان للحرب عدتها، وعبأ كل فريق طاقاته الحربية، ثم تصالحوا بلا حرب، على أن: يأخذ بنو عبد مناف السقاية، والرفادة، وأن تبقى الحجابة، واللواء، والندوة لبني عبد الدار..

وأما الحلف الثاني: فقد كان الداعي إليه إنصاف المظلومين من زوّار مكة: تجاراً كانوا، أو حجاجاً، أو من أهل مكة نفسها وكان أبطاله من الهاشميين، ولا يفوتنا أن نذكر أن محمداً رسول الله حضر هذا الحلف الذي جرى قبل مبعثه، ولم يدخل في هذا الحلف بنو عبد شمس (الأمويون)، ولا بنو نوفل بن عبد مناف، وسمي هذا الحلف ـ حلف الفضول كما يقول ابن هشام ـ، لأن المتحالفين تعاقدوا أن ترد الفضول أي الأموال التي تؤخذ ظلماً إلى أصحابها.. وتعاقدوا أيضاً أن ينصفوا كل مظلوم من ظالمه..

هذان الحلفان مرت بهما قريش، قبل نبوة محمد بن عبد الله الحلف الأول وكان حربياً ـ كما رأينا ـ، ثم انتهى بالصلح.. والحلف الثاني كان حلفاً غايته إقامة العدل، وسحق الظلم، وقد بلغ من أكبار الرسول لهذا الحلف أن قال بعدما اجتباه الله رسولاً: لو دعيت إلى مثله لأجبت.

أما تحالف قريش الجديد ضد محمد وعمه أبي طالب، وقومهما من بني هاشم والمطلب، فإنه حلف ظالم، لم يسبق له مثيل في تاريخ العرب.

قد يستغرب كثير من الناس في زمننا هذا، كيف اهتدى سادة «قريش الاستغلال، والشرك» إلى هذه المعاهدة الاقتصادية كما نسميها اليوم.

الحق ليس في الأمر غرابة - هم أصحاب رؤوس الأموال هم ضخام التجار الذين تتردد قوافلهم التجارية بين: الشام، واليمن، والحبشة، والروم، وفارس.. وهذه التجارة يسرت لهم إنشاء المصارف، وكنز الذهب، والفضة.. ورأس المال مهد لهم السيطرة على اقتصاد مكة، والجزيرة العربية، وكانوا هم مصدر السلطة التشريعية، والتنفيذية، لأنهم هم رؤساء قبائل مكة.

فأبو سفيان أكثر رجل ثراءً في مكة كان رئيس الأمويين، وكانت عنده راية قريش التي تسمى «العقاب» فإذا أخرجها لحرب التف حولها فرسان قريش.

والحارث بن عامر كان رأس بني نوفل، وكان له وظيفة الرفادة في قريش، ومعنى الرفادة أن يفرض ضريبة على المكيين.. ومن المال الذي يجمعه يُطعم الحجاج الذين يؤمون بيت الله الحرام.

وعثمان بن طلحة كان رأس بني عبد الدار، وكان له وظيفتان:

١ - سدانة الكعبة أي خدمتها.

٢ ـ عقد الندوة أي أنهم كانوا يجتمعون عنده للتشاور في الأمور الطارئة الهامة.

ويزيد بن زمعة رأس بني أسد، وكان في قريش بمنزلة قاضي القضاة في أيامنا هذه.. كانوا لا يبرمون أمراً إلا عادوا إليه، فإذا أمضاه نفذ، وإن لم يوافق عليه فإنه يصدر قراراً منه.

وخالد بن الوليد رأس بني مخزوم، وكان يتولى نصب القبة التي تتجمع عندها آلة الحرب، وما يتعلق بها، ثم يرتب هو الجيش.

وصفوان بن أمية كان قيماً على الاستقسام بالأزلام، وهو رأس بني جمح.

والحارث بن قيس رأس بني سهم كان خازن الأموال التي جعلت وقفاً على خدمة الأصنام.. الخ.

هؤلاء كانوا ركيزة البناء الاقتصادي الذي يلقي ظله الكثيف على مكة وما جاورها، وثراؤهم الشامخ جعل لهم الصدارة في حكم القبائل القريشية، ومنهم ومن أمثالهم تَكَوَّنَتْ في قريش طبقةٌ تستأثر: بالغنى، والمناصب، والحكم. وانتماؤهم إلى طبقة أرستقراطية متجانسة.. وحرصهم على الاستئثار بمكاسبهم الطبقية، مَزَجَهُمْ ببعضهم، وشكل منهم توافقاً نفسيًا في الأفكار، والمشاعر، والأخلاق، والعقائد، وطراز المعيشة.. وهذا التوافق فرض عليهم موقفاً اجتماعيًّا، واحداً.. ومن ذلك الموقف الاجتماعي الموحّد الذي أوجبته مصالحهم المشتركة انبعثت فكرة

المقاطعة الاقتصادية الظالمة التي كفل تنفيذها معاهدة أو دعوها الكعبة.

لا ريب أن تطبيق المعاهدة سيضع الحزب الأول ـ حزب محمد وعمه أبي طالب أمام اختيارات أربع هي:

١ - إما أن يموتوا جوعاً.
٢ - وإما أن يهاجروا من مكة.
٣ - وإما أن يتخلى محمد عن رسالة السماء فيسلم لهم المال، والزعامة، والرفاه المخمور، المعربد..
٤ - وإما أن يسلمهم أبو طالب محمداً كما جاء في أحد بنود المعاهدة.

ولا شك أنهم يفضلون أن يذر محمد دعوته، فتعود أمورهم وأمور الهاشميين إلى ما كانت عليه من صفاء.

فماذا يختار أبو طالب وابن أخيه الرسول محمد؟؟

أمَّا أن يترك محمد دعوته الرحمانية، وما فيها من مبادىء وتشريع، وأخلاق، ورقي، وحضارة، فهذا أمر لن يكون.. إن الله اختاره نبيًّا، ورسولاً لحمل رسالة الملأ الأعلى إلى بني الإنسان ليجعلهم يسكنون جنات مفروشات بالعدل الاجتماعي، والمحبة والإخاء، والمساواة، والتوحيد.. فهو لن يدعِ الرسالة التي اصطفاه الله لها. ولو ذُبح، وصُلب، وحرق، وليس محمد أمضى تمسكاً من عمه أبي طالب في تنفيذ أمر الله.

ورؤساء قريش السكارى بنشوة المال، والسلطان، لن يسمحوا

بحرمانهم من امتيازاتهم، ومكاسبهم الطبقية، ما دام لهم أيْدٍ بها يصولون.

وإذاً، فلا لقاء، ولا سلام.. كُلُّ حزبٍ ماضٍ في الطريق الذي اختاره لنفسه، لا ينحرف عنه، ولا يقبل نقاشاً، ولا مساومة، في مبادئه، وأحقيتها في نعيم الحياة.

* * *

نتائج المقاطعة:

أصبح الهاشميون لا يجدون في مكة من يبيعهم من التجار، ولا من يشتري منهم، حتى صغار الكسبة، لأنهم مرتبطون بالعمالقة الكبار ارتباطاً يكاد يكون عضوياً.

إنهم يأخذون منهم القروض لتسيير شؤونهم التجارية، فإذا خالفوا لهم أمراً حجبوا عنهم تلك القروض، وحجزوا أموالهم بما لهم عليهم من ديون.. فتبور تجارتهم، وينتهي بهم الحال إلى الجوع، والتشرد.. فهم خوفاً من ذلك يرون أنفسهم مجبرين على تنفيذ ما أمروا به.

وما ترتفع الشمس إلى منبر الضحى، حتى يشهد دار أبي طالب شبان هاشم، والمطلب، يأتونه أفواجاً، أفواجاً.. يشكون إليه ذلك الكرب العظيم الذي غزاهم به المشركون.

قالوا لعميدهم: يا أبا طالب، لا طاقة لنا بتحمل ويلات هذه «المقاطعة» التي تحرمنا حتى مضغة الطعام.

ويستقبلهم أبو طالب بابتسامة تخفي مرارتها إشراقة طمأنينة،

ويقول لهم: ماذا ترون أن نفعل أيها الأبطال؟؟

قالوا: نعمد إلى سيوفنا فنسلها.. ولا نعيدها إلى أغمادها حتى نتفانى، أو ينقضوا هذه الصحيفة اللعينة التي كتبوها، وأثبتوها على جدار الكعبة.

فيقول لهم أبو طالب: هو والله الرأي، لو كان الأمر وقفاً علينا، وعليهم.

قالوا: ومن غيرنا وغيرهم له تطلع إلى ما بيننا؟؟

قال: رسالة محمد.. دين محمد الذي ينقل الإنسانية من متاهات الضلال، إلى جنان الهدى، ومن مساوىء الجاهلية إلى محاسن المدنية..

إن الذي أخشاه إذا لجأنا إلى لغة السيف أن يقتل جميع المسلمين، فيكون ذلك انتكاسة للرسالة ـ هذا إذا حمى الله رسوله من الأذى ـ.

وصمت الجميع، وتبع الصمت خشوع مهيب، لدى ذكر محمد، ودين محمد، ولبثوا ينتظرون كلمة ثانية من أبي طالب لبثوا ينتظرون رأيه الحكيم.

ويحرك أبو طالب يده.. فتشرئبُّ إليه العيون، وتفتح القلوب مسامعها، فإذا هو ينهض قائماً ليقول:

يا قوم!! إنها محنة. إننا نُمتحن فيما أخذناه عن محمد من عقيدة.. إننا نمتحن في حبنا لمحمد رسول الله.

يا قوم!! هل ترضون أن يكون الطغاة أقدرَ اعْتِصاماً ببغيهم وضلالهم، منكم، بالحق، والهدى، والنور؟؟

أنسلمهم محمداً يقتلونه، وندفن بأيدينا كل ما بعثه الله به من خير لنا، وللعالمين؟؟

هل ترضون بذلك؟؟

فعلت الأصوات هادرة: كلا، كلا. إن رقابنا فدىً لمحمد ورسالته، إن محمداً عندنا أغلى من نسمات الحياة.

فقال أبو طالب: حَيَّا الله أشبالَ هاشم..

وأنا أقول: كلا، كما قلتم، إن محمداً ورسالته هما الروح بالنسبة لنا جميعاً، فإذا تخلينا عنهما مات وجودنا، سنصبر على المقاطعة، نصبر على الموت يغتالنا كبداً، كبداً، ونفوض أمورنا إلى الله.

يا قوم!! إن رسالة محمد سوف تنتصر مهما طال الزمن، لأنها رسالة الله.. وهذا ما يؤكده محمد الصادق، الأمين.. فصبراً على البلاء صبراً..

وَيَتَفَرَّقُ القوم، وقد سكبت عبارات أبي طالب في قلوبهم قوة يتحطم أمامها كل طغيان.. وينقطع كل جبروت..

وخلا أبو طالب إلى نفسه.. أخذ الرجل الفذ يتبصَّرُ في العواقب.. فرأى المقاطعة تضعهم في مفازة الجوع، والآلام.. و.. وطفق يفتش عن رد يعطل ما بيتوا من كيد.. فما لاح في

آفاق عقله بارق يمن إلا الصبر، ورحمة الله..

نعم راودته تعلة وهم حين قال: هل يثبت هؤلاء على ما أبرموا من عهود؟؟

ألا يوجد بينهم من تهزه عاطفة قرابة، أو صداقة، فينقض هذا العهد المشؤوم؟؟

ثم راح يقول وعصير الألم يسيل من كلماته: ألا ما أتعسهم قوماً!! محمد، يريد أن يطهرهم من الرجس المخزي الذي هم فيه غارقون فيرفضون، ويطلبون مني أن أسلمهم إيَّاه ليقتلوه.

ألا ما أتعس غباءهم حين يحلمون أنى أسلمهم محمداً نبي الهدى، والرحمة، ليقتلوه!!

ويتفاعل ما بنفسه من حسرة على هؤلاء الضالين مع عاطفة الإيمان وحبه لمحمد، ورسالة محمد، فإذا هو يقول:

يــرجـون منــا خـطة دون نيلهــا
ضراب، وطعن، بالوشيج، المقوم[1]
يـرجـون أن نَشْخَى بقتـل محمـد
ولم تختضب سمر العوالي، من الدم
كـذبتم، وبيت الله، حتى تفلقـوا
جمـاجم تلقى بـالحـطيم، وزمـزم
وتقــطع أرحــام، وتنـسى حـليلة
حليلاً، ويغشى محرم، بعد محرم

(١) الوشيج المقوم: الرمح، يقال تطاعنوا بالوشيج، وتضاربوا بالسيوف.

على ما مضى، من مقتكم، وعقوقكم
وغشيانكم في أمركم، كل مأثم
وظلم نبي، جاء يدعو، إلى الهدى
وأمرٍ أتى، من عند ذي العرش، قَيِّم
فلا تحسبونا مُسلميه، فمثله
إذا كان في قوم، فليس بمسلم

واندفعت القصيدة أعصاراً يجتاح كل بيت في مكة ورأى المشركون في أبي طالب عزيمة ماردة لا تخيفها الزعازع. ورأوه يستخف حلومهم عندما يهجس خاطرهم أنه يسلمهم محمداً.. إنه يقول لهم: ذلك لن يكون ولو ثمل الموت من عَبٍّ الدماء.

يرجون أن نَسْخَى بقتل محمد
ولم تختضب سمر العوالي من الدم

كم رددوا هذا البيت مكبرين شجاعة أبي طالب، وحبه محمداً.. وما مروا كراماً، باتهامه إياهم، إنهم يظلمون نبي الله محمَّداً الذي جاءهم بالهدى من الله رب العرش العظيم:

وظلم نبي، جاء، يدعو إلى الهدى
وَأَمْرٍ أتى، من عند ذي العرش، قَيِّمِ

قالوا: دعوه يَهْذِي برب محمد، ونبوة محمد، دعوه يقول ما يشاء، فإنه عائد إليكم، حينما يعضه الجوع بنابه الحديد..

* * *

الهجـرة إلى شعـب عبـد المطلـب:

وتمضي الأيام... وتصبح في حساب الإنسان شهوراً، وعنفوان كل من الحزبين يدخ صلابةً، ويتسع عناداً.. ويكره أبو طالب جوار هؤلاء الكفرة، الفجرة، فيجمع الهاشميين، ويخطب فيهم فيقول:

لقد سئمت جوار هؤلاء الضالين، وأرى أن نبتعد عنهم، ونسكن في شعب عبد المطلب.. إنها هجرة صغيرة تبقينا في مكة.. ثم يسألهم: ماذا ترون أنتم؟؟

* * *

وبين مساء وصباح كان الهاشميون وحزبهم ينزلون ضيوفاً شم الأنوف على شعب عبد المطلب، الذي سُمِّيَ بعد ذلك «شعب أبي طالب... وهكذا أقفرت مساكن الهاشميين من أهلها... في أول المحرم لسبعة أعوام خلت من البعثة المحمدية».

لقد انتقلوا، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، إلى الشعب.. كل رب أسرة استقر في مكان آثَرَهُ على غيره.. وهناك راحوا يطوون الأيام والشهور.. يجتمعون.. يتحدثون في أوضاعهم المرهقة.

كانوا يجدون في تعاليم الرسول، عزاء يبرد لهب شعورهم الجريح..

ومر عام، عبوس موحش، وهم في الشعب... ويدخل عام جديد، يحمل في صحائف أيامه عسراً أنكد إرهاقاً، وآلم مذاقاً.. وفي جلسة من جلسات أبي طالب، على عرش الفكر ـ الشاعر، يرسل أَنَّةَ الكبر، المتمرد، والبطولة المتحدية. وإذا

بتلك الأنة الزكية تتفتح قصيدة ما هي إلا رسالة إلى أقاربه من «قريش الارستقراطية».

إنه يظرف معهم في افتتاحية القصيدة فيقول:

ألا، ابلغا عني، على ذات بينها
لؤيّا وخصامن لؤي، بني كعب

وبعد هذه الفاتحة التي تهيء الرغبات إلى سماع ما بعدها، ينتقل إلى التحدث عن محمد، فيعرفهم، أنه نبي كموسى، وأن صفته مذكورة في توراة موسى.

ثم يتبسط في أعلامهم عن محمد فيقول: إن الله اصطفاه نبياً، وأنه تعالى ألقى عليه محبة منه، وما دام كذلك فلا خوف عليه من جورهم.. ولا من الكتاب (أي الصحيفة) التي وضعوها في الكعبة توثيقاً لعرى المقاطعة... ويشبه قرب زوال تلك المعاهدة، بالزبد الذي يبدو على مشافر جمل جائع. هو ذا يقول لهم مستفهماً، وفي استفهامه توبيخ مر:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً
نبياً، كموسى، خط، في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وإن الذي رَقّشْتُمْ في كتابكم
يكون لكم يوماً، كراغية السغب

ثم يحاول أن يوقظهم من غفلتهم الجاهلية، يحاول أن يردهم عن

إصرارهم، وعنادهم، ويطلب منهم، أن لا يصغوا إلى أقاويل بعض الفجرة... ثم يهيب بهم أن لا يقطعوا صلات المحبة التي طالما جمعتهم إلى بعضهم، وأن يراعوا، وَيُمَجِّدوا صلة الأرحام، التي تجمعهم في جد واحد.

إنه لجميل أن يقول لهم، وفي قوله نعومة غضة، تحرك العواطف المتحجرة:

أفيقوا، أفيقوا، قبل أن تحفز الربى
ويصبح من لم يجن ذنباً، كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الغُواة، وتقطعوا
أواصرنا بعد المودة، والقرب

وكأنما خشي أن يفسروا هذه النصيحة، وتذكيرهم بروابط القربى، على أنها استعطاف يصدر عن فؤاد أهز له الحرمان وهصره الضعف، فيطمعهم ذلك فيه ويطلبون منه أن يسلمهم محمداً، لذلك وكي لا يذهبوا في التفسير هذا المذهب، عطف الأبيات التالية على السابقة موضحاً لهم: إن غرض الذين يريدون استمرار البغضاء بين الأقارب إشعال حرب تطحن رحاها الجميع.. ثم يمضي فيقول لهم: إننا لن نسلم محمداً، ولو صب الزمان علينا كل صروفه حتى نموت جميعاً وتأكل لحومنا الضباع الكاسرة، ولا نرى أمتع من أن نورد الأبيات التي عطفها على نصحهم أن لا يطيعوا أصحاب النوايا السود.

وتستجلبوا حرباً عواناً وربما
أمر، على من ذاقه، حلب الحرب

فلسنـا، وبيت الله، نسلم أحمـداً
لعزَّاء من عض الزمـان ولا كرب
ولمـا تَبِنْ منـا، ومنكم، سـوالفٌ
وأيـدٍ، أُبيدت، بالمهنَّدَةِ الشُّهـب
بمعتـركٍ، ضنك تـرى كُسَّر القنـا
به، والضباع العُرْجُ، تعكف كالشرب

ثم يختم القصيدة بأبيات ثلاثة، يذكرهم فيها نسبه الأغر ليكون ذلك أعلق في قلوبهم، وأشد تأثيراً في نفوسهم. . .

إنه يقول لهم: إن أبانا هاشماً الـذي تعرفون نداه، ومكانته السامقة في قريش أوصانا أن نشرع رماحنا، ولا نسكت على ضيم، يحاول الناس إنزاله بنا، وأنتم تعلمون أننا فرسان الموت، وأنّنا حماة الديار، وأنّنا أصحاب العقول الراجحة والتدبير المؤيد بالسَّداد، حينما تضيق الدنيا على أهلها وتشتعل نار الحرب، وأننا لا نشكو عضها، ولا نملها، بل إنها هي التي تملنا. وتشكو ثباتنا، ونجدتنا لنسمعه يقول لهم:

أليس أبـونـا هـاشم شـد أزره
وأوصى بنيه بالـطعان، وبـالضرب
ولكننـا أهـل الحفـائظ، والنهي
إذا طار أرواح الكماة، من الرعب
ولسنـا نمل الحـرب، حتى تملنـا
ولا نشتكي مما ينوب من النكب

ولا يستطيع سجن الشعب أن يعتقل القصيدة، بل هي تتسرب

مع نسمات الصبا العليلة إلى مكة، وتغدو، حديث الجميع في مجالسهم وأسمارهم. .

ويتقبل حزب «قريش الأصنام» القصيدة ويرون فيها روح الصدق الذي يمتاز به أبو طالب، ولكنهم يغضون منها بيتاً واحداً، بيت واحد ينفذ إلى قلوبهم سهماً جارحاً، ذلك البيت هو:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً
نبياً كموسى، خُط في أول الكتب

قالوا: إن كلام أبي طالب عن نبوة محمد يفصح أن له اطلاعاً على الكتب السماوية القديمة. . . ولكنهم يرفضون كل ما يجيئهم به محمد وعمه أبو طالب، وإن كان مسلسلاً من عين اليقين، لأنه يقضي على مصالحهم الفردية: لأنه يحرم عليهم: الربا، والاحتكار، والغش، واستعباد الفقراء والمساكين. . و. . و. . من أجل هذا يرفضون نبوة محمد ومن أجل هذا سوف يستمرون في الرفض، ويحكمون طوق المقاطعة حول عنق أبي طالب، ومحمد وقومهم حتى يأتوهم صاغرين.

ويمضي العام الثاني، أشعث، أغبر، ممزقاً. . ويدخل العام الثالث، بارز الأنياب، متحفزاً للانقضاض، واستلاب الأرواح. .

ويجابهه سكان «شعب أبي طالب» بعزائم فتية سلاحها الصبر المؤمن بالله رباً وبمحمد نبياً. .

تـأتي أيام العام الثالث فتزلزلُ بما تحمله من جوع بائس مطارح

الإباء، ومكامن العزة.. كان المسلمون يتبلغون في العامين الماضيين بما جلبوه وادخروه، حين أووا إلى الشعب حبات من التمر في اليوم للفرد منهم، أو كسرة من خبز يابس متعفن، وهذا الزاد المسكين قد أشفى على النفاذ..

* * *

كان امتثالهم لأمر سيدهم أبي طالب أثمن عندهم من نفوسهم وأبو طالب كان يريهم أن محمداً ورسالته أغلى عليه من قطعة كبده، وكان محمد بما ألقاه الله عليه من محبة، وبما نَضَّرَهُ به من مهابة، وبما جبله عليه من خلق عظيم محط إجلالهم وإكبارهم.

كان يتلو عليهم آيات زكيات من وحي ربه فتنشرح صدورهم وتبرد حرارة الجوع في أكبادهم وينسون ما هم فيه من بلاء وشقاء.

ولكن العام الثالث هذا يأتيهم بمروعات كافرة.. لم تمض أشهر حتى نفذ ما ادخروه، فماذا يفعلون؟؟ كان بعض الأقارب في مكة يرسلون إليهم في ظلمات الليل، يسيراً من طعام بين الحين والحين يمكن الروح من البقاء في الجسد الضاوي.. ولكن المراقبة الشديدة، اليقظة، التي أحكمها «طواغيت قريش» على الشعب، منعت عنهم كل شيء..

وبالرغم من هذا فقد طردوا اليأس حينما طلب منهم أن ينزل ضيفاً عليهم...

قالوا له: سنذبحك إن عُدت إلينا، سنعرف كيف نحيا

لمبادئنا، وعقائدنا... وقد عرفوا ذلك فعلاً، فإنهم لم يحجموا أن يسلكوا في الحياة نهجاً جديداً... لقد بدأوا يأكلون أوراق الطلح المرة.. وأخذوا يأكلون أيضاً جلود الحيوانات التي كانوا يستخدمونها للنوم، والجلوس..

ولا بد أن يتساءل إنسان اليوم بشيء من الدهشة: كيف كانوا يأكلون جلود الحيوانات اليابسة؟؟

يحدثنا التاريخ عن ذلك فيقول: إن أحدهم كان يأخذ قطعة الجلد، فَيُعَرِّيها ممَّا عليها من صوف، أو وبر، ثم يغسلها بالماء ثم يُلَوِّحُها فوق نار هادئة، ثم ينقعها بالماء ثانية بعضاً من الوقت، ثم يأكلها.

ترى، هل عرف التاريخ إخلاصاً أنبل من إخلاص هؤلاء القوم لعقائدهم؟؟

ألا ما أمجد القلوب المؤمنة يراودها الموت جوعاً، فَتَسْتَعْلي عليه، وتقابله بسلاح المبدأ، والكبر، المتمرد على الظلم، فينبهر الموت وقد امتلأ إعجاباً وإجلالاً.. وفي هذه الغمرة الداجية التي تطبق على سروات هاشم يخلص إلى مسامع قريش أن أبا طالب وَجَّهَ إليهم رسالة شعرية جديدة، فيطلبونها، ليروا فيها أبا طالب بعد هذا العسر المميت.. وبعد بحث مجهد يأتي من يقدم إليهم القصيدة، فإذا هو يبدؤها بمخاطبتهم، فيقول لهم وفي خطابه لمسة عتاب عزيز:

ألم تعلموا أن القطيعة مأتمٌ
وأمر بلاء، قاتم، غير حازمِ؟؟

وأن سبيـل الرشـد يعلم في غـد

وأن نعيم الـدهـر، ليس بـدائم

فـلا تَسْفَهَنْ أحلامكم في محمـد

ولا تَتْبعـوا أمـر الغـواة الأشـائم

تَـمَـنَّيْتُـمُ أن تـقـتـلوه، وإنـمـا

أمـانيكم هـذي، كـأحـلام نـائم

وإنــكـم، والله، لا تــقــتــلونــه

ولما تروا، قطف اللحى، والجماجم

زعمتم، بــأنـا مسلمـون محمـداً

ولـمـا نُقـاذِفْ دونــه، ونـزاحـم

أمينٌ، حبيبٌ، في العبـاد، مُسَوَّمٌ

بخـاتم رب، قاهـر، في الخواتم

يـرى الناس بـرهانـاً عليه، وهيبـة

وما جاهل في قومـه، مثل عـالم

نبي، أتـاه الوحي، من عنـد ربه

ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

استمعوا إلى هذه الرسالة الشعرية، فإذا هم لا يرون أثراً للأمل الذي كانوا به يحلمون. . .

لقد حلموا أن نَفَسَ أبي طالب قد هان بعد هذه الأعوام من المقاطعة. . ولكنهم رأوا أبا طالب قبل المقاطعة، هو، هو أبو طالب بعد حوالي ثلاثة أعوام من المقاطعة، الرهيبة الخانقة.

قالوا: يا للعجب، العجاب!!! سَجَنَّاه في الشعب. . .، وجاع

حتى جفت عضلاته ـ جاع حتى أكل ورق الشجر المر ـ جاع حتى أكل الجلود اليابسة.. وهذا، هو، ما برح على عرش عنفوانه.. كأن لم يحدث شيء..

ثم انكبوا على القصيدة يتعهدونها بيتاً، بيتاً، وبعد الفراغ من التدقيق فيها، قال أحدهم:

أرأيتم كيف يعاتبنا فيقول: إننا ارتكبنا ذنباً لأننا قطعنا حبال القرابة، والمودة،.. ثم تَدَبَّروا قوله: ستعلمون غداً أينا سلك سبيل الرشاد، ألا ترون في هذا تهديداً واضحاً؟؟

وبعد هذا التهديد الخفي يحاول أن يسدي إلينا النصيحة بقوله: إن نعيم الدنيا زائل، لا يدوم لأحد..

ويقطع حديث هذا أبو سفيان ليقول: ليته وقف برسالته عند حدود التهديد، والنصيحة.

هل فاتكم قوله: فلا تسفهن أحلامكم في محمد.. إنه يرانا كعادته سفهاء لأننا لا نؤمن برسالة ابن أخيه ونترك ما عبد آباؤنا، ونقدم للفقراء أموالنا، ونرضى أن يكون عبيدنا أكفاءً لنا، وإخواناً..

وهو، لا يعزب عنه أن يعيد لنا سيرته الأولى: إنه لن يسلم محمداً، ولو ثلمت السيوف من قطع الرقاب.. فقال أبو جهل: وبعد هذا يعرض علينا ابن أخيه ـ شأنه دوماً وأبداً ـ نبياً، ينزل الله عليه وحياً، وهو لوذعي، لا ينسى أن يزرع في أذهاننا شَبَحاً مرعباً هو: أنَّ مَنْ لم يؤمن بما يقوله عن محمد فإنه سيندم ندماً علقماً.

بني أتـاد الـوحي من عنـد ربـه
ومن قال: لا، يقرع بها، سن نادم

ثم عبثوا به قائلين: إذاً فلتمنع عنه نبوة محمد المقاطعة، ولتطعمه من جوع، وتؤمنه من خوف.. فتمطى أحدهم وقال: يا قوم!! إن أمر أبي طالب لعجب، إنه يقدم ابنه علياً، وهو الفتى، النابه، فدى لابن أخيه محمد.

قالوا: يقدمه فدى لمحمد؟؟ كيف؟؟ أخبرنا!!

قال: لقد علمت أمس من أحد العيون، إن أبا طالب يفرش لمحمد فراشاً ينيمه فيه أمام جميع السمّار، فإذا ذهب القومليناموا يجلب ابنه علياً، ويضجعه في فراش محمد، ويأخذ محمداً فينيمه في فراش علي، فإذا جاء أحد يقتل محمداً غيلة فإنه يقتل علياً، ويسلم محمد[1].

فتعالى الضجيج من كل جانب، وقالوا: هكذا يضحي بابنه ليسلم ابن أخيه.. حقاً، إنه أمر، يدعو إلى العجب.

ثم سألوا الرجل: وهل يرضى عليٌّ بذلك، أم أن أباه يلزمه به إلزاماً..؟؟؟

قال: لا، إن علياً يفعل ذلك طيب النفس، قرير العين، ولقد علمت أن مساجلة شعرية دارت بين أبي طالب وابنه علي في هذا الشأن.

---

(١) راجع صفحة /٧٧/ من كتاب «أبو طالب» عم النبي لعبد العزيز سيد الأهل، ط، أولى ـ القاهرة.

قالوا: ما هذه المساجلة؟ هات، أسمعنا.

فتنحنح الرجل وقال: ذات ليلة قال علي لأبيه: يا أبتِ!! إني مقتول!!

فإذا والده يصارحه: إنه يريده أن يكون فدى لمحمد رسول الله، ويطلب منه الصبر على جلال التضحية، اسْمعوا ما قال له:

إصْبِرَنْ، يا بُنَيَّ!! فالصبر، أحجى
كـل حي، مصيره لشعوب[1]
قد بذلناك، والبلاء شديد
لفداء الحبيبِ وابْنِ الحبيب
لفداء الأَغَرِّ ذي الحسب الثاقب
والباع، والكريم، النجيب
إن تُصِبْكَ المنون، فالنبل تبرى
فمصيب منها، وغير مصيب
كُلُّ حي، وأن تملَّى، بعمر
آخذٌ من مذاقها، بنصيب

فهتفوا قائلين: ما هذا؟؟ لقد أشرقت نبوة محمد في شعر أبي طالب.. إن هذه الأبيات من لعاب قرآن محمد..

فقال أبو سفيان: ما لنا، ولهذا؟؟ أخبرنا، ماذا قال علي لأبيه؟؟

---

(١) شعوب، علم للمنية. معنى البيت: اصبر يا بني، فمثلك جدير بالصبر على الموت فدى لمحمد رسول الله، لأن الموت هو النهاية التي يصير إليها كل إنسان.

ـ لقد أجاب علي أباه فقال:

أتأمرني بـالصبر، في نصـر أحمد
وواللهِ، ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أَحْبَبْتُ، أن تـرى نصرتي
وتعلم، أني، لـم أزل لك طائعـا
سأسعى، لوجه الله، في نصر أحمد
نبي الهدى المحمود، طفلاً، ويافعا

قالوا: إن شأن كل من الأب، والابن، لمدهش.. أب يقدم ابنه فدى لإنسان آخر، وابن يحمد أباه لأنه يريد أن يجعل من روحه فادياً لذلك الإنسان. هذا أمر لم تعرف له الدنيا شبيهاً غير إبراهيم، وابنه إسماعيل..

فقال عتبة: إن إخلاصهما للدين الذي جاء به محمد، هو الذي يجعلهما يقبلان على ذلك طوعاً.. و.. ويقطع خالد بن الوليد على عتبة حديثه فيقول: والآن علامَ صممتم؟؟

قالوا: سنمضي في المقاطعة حتى يفتحوا عيونهم، ويروا مكاننا، وينزلوا على رغباتنا، وإذا لم يضعفوا بالرغم مما ينوشهم من ضيق عاصف، فهل نضعف نحن إكراماً لعواطف أبي طالب، ونحن سادة قريش، وإلينا أمرها؟؟

* * *

الأَرَضَةُ تأكل الصحيفة...

وتمر الأيام، وكأنها ظلال غيوم تسوقها ريح ليِّنَة.. ويقدم إلينا

ابن هشام في المجلد الثاني من سيرته الحديث التالي فيقول: إن أبا طالب واجه «سادة قريش الأصنام» فقال لهم: يا معشر قريش!! إنَّ ابن أخي أخبرني، فقال: يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً لله إلا أَثْبَتَتْهُ فيها ـ أي تركته ـ، وَنَفَتْ منها الظلم والقطيعة، والعدوان.

فقلت له: أربُّك أخبرك بذلك؟؟

ـ نعم.

فجئت إليكم لأقول لكم: إن كان ما قال ابن أخي حقاً، فانتهوا عن مقاطعتنا، وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً، دفعت لكم ابن أخي.

فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك، وذهبوا إلى الصحيفة، فإذا هي كما قال رسول الله.

فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وأصروا، واستكبروا استكباراً.

ويعود أبو طالب إلى الشعب مُتَهَلِّلَ الوجه، يقص على القوم أخبار الصحيفة، فتعم البهجة، الجميع، وينسون ما هم فيه من بلاء. وبنيا هم في ذروة بهجتهم ينشد أبو طالب:

يا شاهد الله!! عليّ، فاشهد
أني على دين النبي أحمد
من ضل في الدين فإني مهتدي

ولم لا يغتبط أبو طالب؟؟

ألم يثبت لفراعنة قريش صدق ابن أخيه محمد رسول الله؟؟

ألم يروا رأيَ العين أن الأَرَضَة أكلت كلمات المقاطعة، الظالمة، وأبقت الكلمات الرحيمة؟؟.

إذاً، فما يمنعه أن يمرح، ويرتجز ويغني القوم معه كلماته بفرح غامر.

يا شاهدَ اللّه، عليّ، فاشهد
أني على دين النبي أحمد
من ضل في الدين فإني مهتدي

* * *

إنهاء المقاطعة... وتمزيق الصحيفة:

ثم ماذا كان بعد ذلك؟؟

لقد استمرت المقاطعة. ويحدثنا الطبري في المجلد الثاني من تاريخه فيقول: إن أبا جهل لقيَ حكيم بن حزام بن خويلد، ومعه غلام يحمل قمحاً، يريد به عمته خديجة بنت خويلد زوجة الرسول، فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟؟

فقال له أبو البختري، وكان قريباً منهما: طعام لعمته عنده بَعَثَتْ إليه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟؟

خَلِّ سبيل الرجل..

فأبى، ولم يتركه أبو جهل، إلا بعد أن ضربه أبو البختري، ونال منه نيلاً شديداً.

ثم تتلاحق الأخبار ـ في مكة عن سكان الشعب ـ قصيدة أبي طالب؛ نوم علي في فراش الرسول يفديه بنفسه. . الصحيفة التي أكلت حروفها الأرضة. . صدقُ محمد عن الصحيفة ـ قصة حكيم بن حزام وأبو البختري، وأبو جهـل ـ أكلهم ورق الشجر. . فتتفاعل تلك الأحداث في نفوس القوم فإذا هي توجد تذمراً، وصخباً. . إذا هي تلقح الأفكار بيقظة جديدة، وتوجهها شطر أبي طالب، وابن أخيه الرسول محمد، ويتحدث إلينا ابن هشام في المجلد الثاني عن أثر ذلك التفاعل في النفوس فيقول:

إن هشام بن عمرو ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف، يمضي إلى زهير بن المغيرة، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فيقول له: يا زهير!! أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب وأخوالك الهاشميون حيث علمت يُمْنَعُ عنهم الطعام؟؟

أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي جهل، ودعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه.

فقال زهير: ويحك يا هشام!! فماذا أصنع؟؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت بنقضها حتى أنقضها.

ـ قد وجدت رجلاً.

ـ فمن هو؟؟

ـ أنـــا.

قال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً.

فذهب إلى المطعم بن عدي من بني عبد مناف، فقال له:

يا مطعم!! أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه؟؟

أما والله لو أمكنتموهم من ذلك لتجدنهم إليها منكم سراعاً.

قال: ويلك، ماذا أصنع؟؟ إنما أنا رجل واحد.
ـ وجدت ثانياً.

ـ من هو؟؟

ـ أنــا.

ـ ابغنا ثالثاً.

ـ قد فعلت.

ـ من هو؟؟

ـ زهير بن أمية المخزومي.

ـ أبغنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البختري بن هشام، وأعاد عليه نحواً مما قاله لمطعم، فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟؟

ـ نعم.
ـ ومن هو؟؟

ـ زهير بن أمية المخزومي، والمطعم بن عدي، وأنا معك.

ـ أبغنا خامساً.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه، وذكر له قرابتهم، وحقهم، فقال:

وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟؟

ـ نعم، وَسَمَّى له القوم. . .

وفي موضع بأعلى مكة اسمه «خطم الحجون» اجتمع الخمسة ليلاً، وتعاقدوا على نقض الصحيفة، وتحمس زهير بن أبي أمية المخزومي فقال: أنا أبدؤكم، وأكون أول من يتكلم. . .

* * *

واستيقظت مكة صباحاً لتشهد أحداثاً جساماً. . لم يمض من النهار إلا أقله حتى رأى البيت الحرام الرجال الخمسة يطوفون به مع الطائفين. . ثم شاهد الناس زهير بن أمية المخزومي يقبل عليهم بوجه صارم ويقول:

يا أهل مكة!!

فأصغى الحاضرون جميعاً إلى هذا النداء، وهم يقولون في أنفسهم: ما الخبر؟؟

ولم يتركهم زهير ينتظرون طويلاً، ليطلع عليهم بنبئه الجديد بل اندفع يقول بغضب:

أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى؟؟

والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة، الظالمة.

فقال له أبو جهل، وكان في ناحية من المسجد: كَذَبْتَ والله لن تشق. .

فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت.

فقال أبو البختري: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، ولا نُقِرُّ بِهِ.

قال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها، ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو مثل ذلك، فبهت أبو جهل وقال: هذا أمر دُبر بليل.

وأسرع المطعم بن عدي إلى الصحيفة، ونزعها عن جدار الكعبة، ثم شقها مِزَقاً، ورمى بها إلى الأرض بعصبية..

رجـوع الهاشميين إلى مساكنهـم:

كـان أبو طـالب حاضـراً في المسجد يصغي إلى الحـوار الغاضب... وما إن شقت الصحيفة حتى انطلق إلى الشعب يزف إلى الهاشميين، النبأ الطري، البهيج..

قال لهم: لقد مزقت الصحيفة، فانتهى بذلك كل عهد أبرموه على مقاطعتنا.. وقص عليهم ما حدث.. ورأت مكة بعد ساعات من شق الصحيفة بني هاشم، وبني المطلب يعودون[1] إليها، شامخي القامات.. أعزة الوجوه، وعلى رأسهم سندهم أبو طالب، ونبيهم محمد، فتأنس الديار بالغطاريف الأنجاد، وتنفض عن أعطافها غُبار الكآبة والوحشة، وتلطف دنيا مكة، وتعذب... ويعود زهو الأمل الوضيء إلى الجماهير الكادحة، من الفقراء، والمساكين والعبيد.

---

(١) كان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة للبعثة.

ها أبو طالب يعود، وبين يديه ابن أخيه النبي العظيم الذي يجاهد ليسمو بهم من وهاد المذلة، والعبودية، والحرمان إلى قمة الكرامة، والحرية، والمحبة.

أول انتصـــار للرسالـــة المحمديـــة:

ويهمل التاريخ أن يسجل: أن ذلك كان أول نصر لنبوة محمد على: الأصنام، وجاهلية المال، والتسلط.. وما إن تندمل جراح أبي طالب النفسية، حتى يتذكر مهاجري المسلمين في الحبشة، فإذا الحنين يطير به إليهم عامة وإلى ابنه جعفر خاصة، وإذا عاطفته الرقيقة تُرسل هذه النفثات التي يتشهى فيها أبو طالب، أن يكون سمع أولئك الذين قطعوا البحر، واستقروا في الحبشة، صنع الله في قريش لِنُصْغِ إليه يقول:

ألا، هـل أتى بحرينـا صنع ربنـا
ـ على نَأْيهم ـ والله بالناس أرود[١]
فيخبـرهم، إن الصحيفـة، مُزِّقَتْ
وإن كل ما لم يـرضه الله مفسـد

ثم يفخر فيقول:

فمن يَنْشَ من حضـار ـ مكة عِـزُّهُ
فعـزتنا، في بـطن مكـة أَتْلَـدُ[٢]
نشـأنا بهـا، والناس فيهـا قـلائـل
فكنّـا بهـا نـزداد خيـراً ونحمـد

(١) أرود: أرفق.

(٢) ينشَ: ينشأ. أتلد: أقدم.

ثم ينتقل إلى نبي الهدى والرحمة محمد فيقول عنه:

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً
إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الآله، والكريم بأصله
وأخلاقه، وهو الرشيدُ، المؤيد

ويقبل مجتمع قريش على هذه القصيدة التي أخذنا منها بضعة أبيات إقبال العطاش على الماء.. إن به لهفة إلى سماع شعر أبي طالب بعدما انفلت من حصار الشعب.. فإذا أبو طالب يتجلى لهم من خلال قصيدته فرحاً بنصر الله على الجبارين من قريش.. ويرونه يفخر بحق أنه في الذروة من قريش نسباً.. وأنه أمرعهم عزة، وأسخاهم يداً.. ثم رأوه يبارك محمداً.. فيصفه بأنه سيد السادات في العالم كله، وأنه ـ وهو نبي الله ـ أنبل الناس نفساً وأباً، وخلقاً وأنه مؤيد من الله الذي أرسله إلى العالمين رحمةً وسلاماً.

ويجتمع أفراد كل طبقة في مكة إلى بعضهم يرددون أبيات القصيدة.. ثم يهتف أفراد كل فريق: لله دره ما أمجده شعراً وما أمجده داعياً إلى الإسلام، وما أنور إيمانه بمحمد ونبوة محمد.

أما «جبارو المال والشرك والفردية» فقد هرعوا إلى ناديهم ينسجون خيوطَ المؤامرات... ويحيكون منها بُرودَ الهلاك لمحمد وعمه وصحبه.. عشر سنوات مرت لم يتعبوا من التآمر.. والأذى.. لم يخجلوا من ظُلْمٍ عَرَّاهُمْ من قدس الإنسانية يصبونه على بني هاشم حتى أوشكوا أن يقتلوهم رجالاً، ونساءً، وصبيةً،

جوعاً، لولا أن جعل الله لهم مخرجاً..

* * *

ويبدو لهم هاجس بِكْـرٌ:

لقد تواصوا هذه المرة باللين، فجنحوا له.. ثم قصدوا محمداً يعرضون عليه أن يجعلوه عليهم سيداً. وأن يعطوه من كنوز المال حتى يرضى.. فرفض العرض بكياسة، وأوضح السبب.

قال لهم: بعثني الله إليكم لتؤمنوا به إلّهاً أحداً، وتتقيدوا بما شرعه من أحكام، لتنعموا أنتم والناس كافة بسعادة الجسد، والروح.. وأن تؤمنوا أني رسول الله.

فتركوه ـ وعادوا، يتجمعون، ويتدارسون رفض محمد، و طلبه منهم.

قال أبو سفيان متهكماً نعم، سعادتنا أن يجعل بلالاً العبد الحبشي مثل أبي سفيان سيد بني أمية.. وأن يجعل في أموالنا حقاً معلوماً لأراذل الناس.. إني أرى أن محمداً يُريد أن يخرجنا لا من الظلمات إلى النور، بل من معاقل عزتنا، وسؤددنا، حتى يجعلنا من صعاليك العرب.

وحرك هذا الكلام حمية النخوة الجاهلية فيهم فصرخوا: هذا لن يكون ما دمنا أحياء.. ولولا أبو طالب لذبحنا محمداً عند قدمي هبل..

وفـاة أبـي طالـب ووصيتـه:

وتعاقب الأيام، وهم يبيتون من المكر أخبثه.. وبينا هم بين

فصائل مكرهم يعمهون.. جاء من يقول لهم: إن أبا طالب مريض..

أبو طالب مريض..

إنها بشرى تطفح نفوسهم لسماعها سروراً.

وشاع خبر مرض أبي طالب في مكة. وأمسك نبي الله محمد والمسلمون أنفاسهم.. وأمسك الكفرة من قريش أنفاسهم أيضاً، الرسول، والمسلمون يخافون أن يتخطف الموت أبا طالب فينهدم الحصن المنيع الذي يحتمون به، والمشركون يتلهفون أن يسمعوا خبر موت أبي طالب ليميلوا على المسلمين ميلة قادرة، ويبطشوا بهم.. وتثقل وطأة المرض على أبي طالب، ويرى أنه تارك هذا العالم إلى رياض رحمة الله، فيدعو السادة من قريش: مؤمنهم، وكافرهم ليحضروا عنده، فيلبون الدعوة، وكل يهمس في أذن أخيه: ماذا يريد أبو طالب أن يقول لنا؟؟

ويهش أبو طالب للجميع، ويرحب بهم، ثم يلقي عليهم وصية تنبع الحكمة من كل كلمة من كلماتها، نأخذ منها ما يأتي:

قال لهم: يا معشر قريش!! أنتم صفوة الله من خَلْقِهِ وقلب العرب، وفيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، واعلموا أنكم لم تتركوا نصيباً في المآثر إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه..

بعد هذه المقدمة اللطيفة شرع بإلقاء وصيته فقال لهم:

وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية ـ الكعبة ـ فإن فيها مرضاة الرب، صلوا أرحامكم، ولا تقطعوها، فإن صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم. . أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، وعليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة.

وبعد أن يلقي عليهم هذه الوصية الخالدة التي تتضمن كل جملة منها موجة من النور الهادي، المهذب، للنفس، والضمير والخلق، بعد إلقاء ـ هذه الوصية التي كتبها الإسلام في دستوره، حرفاً، حرفاً، يثني بوصية ثانية، أعلى، وأغلى، من كل ثمين، إنه يوصيهم بمحمد رسول الله فيقول:

وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة.

وتمتد بصيرته المؤمنة إلى المستقبل، فإذا هو يطلع علينا بنبوءة أَثْبَتَتْ الأيام صدقها، قال: «وأيم الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت ولكأني به، وقد محضته العرب ودادها، وأعطته قيادها. .». ثم يشير إلى صدق محمد في نُبوته، وإلى أنه لا يؤمن برسالته أحد إلا نَوَّرَتْ في قلبه أزاهير السعادة، فيقول حالفاً بالله: «والله لا يسلك أَحَدٌ سبيله إلا رشد. . . ولا يأخذ أَحَدٌ بهديه إلا سعد».

انصـــروا محمـــداً فإنـه الهادي إلى سواء السبيـــل[1]:

ثم يبدي حزنه الأليم، لأن الله لم يُمْهِلْهُ ليكافح عن الإسلام، حتى ترتفع شمسه، وتنير العالم قاطبة فيقول، ولو كان للنفس مدة، وفي أجلي تأخير، لكففتُ عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي...

وتفرق المجتمعون يذيعون وصية أبي طالب، وتتحدث عنها كل فئة بما يستوي مع وعيها.. وصفاء قابليتها... ويخلو مجلس أبي طالب إلا من خلاصة الهاشميين، فينـظر إليهم بحنان، ويوصيهم فيقول:

يا معشر بني هاشم!! أطيعوا محمـداً، وصدقـوه تُفلحوا، وتَرشدوا.. وبعدما أمرهم جميعاً بتصديق محمد فيما جاء به من عند الله، وبطاعته فيما يأمر، لأن في تصديقه وطاعته فلاحهم، ورشادهم يتوجه بوصية خاصة إلى أربعة من الهاشميين هم: ولداه: علي، وجعفر، وأخواه: الحمزة، والعباس فيقول:

أوصي، بنصـــر نبي الله، أربعـــة
ابني علياً، وعم الخيـر عبـــاسـا
وحمـزة الأسـدَ المخشيَّ صـــولتـه
وجعفراً، أن تذودوا، دونه الناسـا
كونوا ـ فداء لكم أمي، وما ولدت
في نصر أحمد، دون الناس، أتراسا

---

(١) راجع خالد محمد خالد: في رحاب عليّ، من صفحة ١٣ ـ ١٧، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ـ طبعة أولى ١٩٦٦ م.

الرسول الكريم يرثي عمه أبا طالب:

ثم أغمض العينين الكريمتين اللتين طالما سهرتا على رسول الله، ورعتاه، وسعدتا بمرآه: طفلاً، وشاباً، ونبياً... ويمضي علي فينهي الخبر إلى رسول الله، فيبكي النبي عمه العظيم، ويطلب من علي أن يغسله، ويكفنه.. ثم يجيء الرسول، ويمشي في جنازة عمه، ويرثيه، فيقول:

«وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت، وكفلت صغيراً.. ونصرت، وآزرت كبيراً.. أما واللَّهِ لأستغفرنَّ لك، ولأشفعنَّ لك شفاعة يعجب لها الثقلان».

ومن قلب باك، موجع يندبه فيقول: «وا أبتاه! وا أبا طالباه! وا حزناه عليك يا عم، كيف أسلو عنك يا من ربيتني صغيراً، وأحببتني كبيراً، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد؟؟..»[1].

بهذه العبارات الباكيات ودع محمد رسول الله عمه أبا طالب.. بهذه العاطفة النبوية الرحمانية بكى محمد عمه أبا طالب ـ بكى فيه شرف الإخلاص لرسالته الإلهية، بكى فيه نبل التضحيات التي لم ير الإسلام أقدس منها روحاً ولا أكرم غاية ومقصداً، بكى فيه العم الحبيب المؤمن الذي سقت بطولاته

---

(١) توفي أبو طالب عن ستة وثمانين عاماً، ومات في شهر رمضان وقيل في رجب آخر السنة العاشرة من مبعث النبي قبل الهجرة بثلاث سنوات وكانت وفاته بعد خديجة بثلاثة أيام، وسمّى الرسول هذا العام: «عام الحزن»، وقال: اجتمعت عليَّ في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً.

شجرة الإسلام حتى امتدت جذورها ورسخت وظللها بجماع وجوده من نار الطغيان حتى شمخت أغصانها وأنضرت. .

المرتزقة يتهمون أبا طالب بغضاً بولده علي وإرضاءً لمعاوية:

يبكي الرسول في عمه تلك المعاني الباسقة التي حضنت الإسلام، وحنت عليه حتى صار فتياً. . أبو طالب، وهو كما رأيناه عند ابن أخيه محمد رسول الله، أبو طالب، وهو الذي عرفناه في سيرة حياته التي مرت مربياً للرسول، حانياً على الإسلام، ومؤمناً به، وداعياً إليه، أبو طالب، وهو كل ذلك التراث العبقري. . يمتد إليه الحقد الأموي، فيجعل منه كافراً، لم يؤمن بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله. .[1].

لقد اتهم أحبار اليهود عيسى بالكفر وصلبوه. . وهكذا اتهم أبو طالب، وصُلب على خشبة الكفر، مع فارق هو: أن عيسى كان حياً عندما اتهموه. . أما أبو طالب فكان قد مضى على وفاته سنون طوال. . ومع فارق ثانٍ هو: أن الغاية من اتهام عيسى وصلبه أن يتخلص أحبار اليهود من تعاليمه التي تحرر الشعب من استغلالهم، وسيطرتهم. . أما أبو طالب فقد اتهم لا لذاته. . . ولكن بغضاً بولده علي بن أبي طالب. . وكما ظهرت براءة عيسى مما نسب إليه. فقد ظهرت براءة أبي طالب مما نسب إليه بعدما

---

(١) يعلق الشيخ المفيد في رسالته (إيمان أبي طالب) على أمر رسول الله علياً بغسل والده وتكفينه فيقول: «فلو كان أبو طالب كافراً لكان عقيل وطالب (كانا ما يزالان على الجاهلية) أحق بتولية الأمر من علي، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره لانقطاع العصمة بينهما. . الخ ثم يقول: «ولو مات أبو طالب كافراً لما وسع رسول الله الثناء عليه بعد الموت والدعاء له بشيء من الخير. . اهـ.

انطوت راية أمية.. وبعدما درست الأحاديث، ونفسيات مرتزقة معاوية ـ الذين وضعوا الأحاديث، وارتضى كل منهم أن يجعل من شخصيته مطية ذلولاً لمعاوية بن أبي سفيان.

* * *

غاب وجه علي بن أبي طالب.. وترنح معاوية في كرسي الحكم.. فإذا المرتزقة يطفون على السطح.. بعدما كانوا قابعين في الْقَعْر[1]...

هم يعرفون معاوية.. ويعرفون الأساليب التي وصل بها إلى الحكم.. وهم ليسوا فرسان حرب ليدلوا بمكانتهم الحربية على معاوية.. وليسوا من السابقين إلى الإسلام، أو المجاهدين في سبيله لِيُشيروا إلى سبقهم، وجهادهم... ولا يُحسنون قول الشعر ليهزوا معاوية بمدائحهم.. ليس عند أحدهم منقبة ترفعه عند معاوية، وتجعله يبسط عليه من نعيم دنياه... ولكن.. أَيَظَلُّون خارج سوق الانتفاع، ومعاوية، وحاشيته، وبنو سفيان، وبنو أمية غارقون حتى الأذقان في منابع المال، والسلطان، والشهوات؟؟

أيعجزون عن هندسة، ونحت سلم يعرجون فيه إلى سدة معاوية؟؟

لم يتيهوا طويلاً في زوايا التفكير، بل هدتهم غريزة حب الانتفاع الأصيلة فيهم إلى ما يبتغون..

---

(١) يقول السيد رشيد رضا: «لقد حَوَّلَ معاوية شكل الحكومة الإسلامية إلى حكومة شخصية استبدادية، جعلت مصالح الأمة كالمال يرثه الأقرب فالأقرب إلى المالك، وإن كرهت الأمة كلها، فكان هذا أصل جميع مصائب الأمة الإسلامية» (راجع: رشيد رضا ـ مجلة المنار، الجزء (١٢) المجلد (١٢) صفحة /٩٥٥/).

رأوا أن عُمُد حكم معاوية ما تزال مضطربة مع وجود السيف المسلط، والدهاء الرهيف. . والغدر الماكر.

رأوا أن تثبيتها يحتاج إلى شيء آخر غير منظور - إلى شيء معنوي منبثق من ذات الإسلام.

إن الإسلام يعتمد على ركيزتين أساسيتين هما: القرآن الحكيم، وأحاديث الرسول. . أما القرآن فلا سبيل للزيادة عليه، لأنه مدون قبل غيبة الرسول، فهو محفوظ من هنا. . ومحفوظ بقوله سبحانه، إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون. .

وأما أحاديث الرسول، فإنها لم تدون.

وأحَسَّ هؤلاء بنشوة الفرح تحلق في صدورهم. . لقد وجدوا القوة القاهرة التي تخضع معاوية، وتجعله يقربهم إليه، ويمنحهم المال، والمناصب. . ومن هنا بدأ الغزل المشبوه. . بينه وبينهم. . .

كانت مكانة علي بن أبي طالب في الإسلام نصلاً حاداً يتحرك في قلب معاوية.

قرابة علي من رسول الله، سبقه إلى الإسلام، جهاده الضخم في سبيل الإسلام، أقوال الرسول فيه حتى لتكاد ترفعه إلى الأفق الأخضر الذي يحتله صاحب الرسالة نفسه.

منها قول الرسول: «يا علي!! لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[1].

---

(١) راجع صحيح مسلم الجزء الأول صفحة /١٦١/ وراجع: ابن حجر: الإصابة في التمييز بين الصحابة» الجزء الثاني، صفحة /٥٠٩/ طبعة جديدة (بالأوفست)، وراجع: ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب صفحة /٣٧/ بهامش الإصابة الجزء الثالث.

ومنها قول الرسول لجبريل في غزوة أحد عن علي: «إنه مني، وأنا منه»، فقال جبريل: وأنا منكما[1]..

ومنها: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني»[2].

ومنها قوله: «عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض»[3].

ومنها قوله: «من كنت مولاه، فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»[4].

ومنها.. ومنها..

---

(1) راجع المجلد الثالث من تاريخ الطبري صفحة /١٤٠٢/.

(2) ابن حجر: الصواعق المحرقة، طبعة ثانية ـ مصر، صفحة /١٢٥/.

(3) الشبلنجي الشافعي، نور الأبصار، صفحة /٧٢/ طبع مصر، وراجع، الصواعق المحرقة صفحة /١٢٦/ طبعة ثانية، وراجع صحيح مسلم ـ الجزء السابع، صفحة ١٢٢ ـ ١٢٣، وراجع، السيوطي: تاريخ الخلفاء صفحة /١٧٣/ ط. مصر وراجع أحمد رضا الأزهري: علي بن أبي طالب صفحة /١٢١/ طبع بيروت.

(4) راجع ابن عبد ربه: العقد الفريد، المجلد الخامس صفحة /٥٨/ تحقيق محمد سعيد العريان المصري، وإذا شئت أن تقف على حديث الغدير ورواته من أعلام الفريقين، فراجع، الغدير: الشيخ الأميني ـ المجلد الأول من صفحة (١٤ ـ ٧١) فإنه يضع بين يديك رواة حديث الغدير من الصحابة والتابعين مرتبة على الحروف الهجائية. ومن صفحة /٧٣ ـ ١٥٢/ حيث يذكر طبقات الرواة من العلماء حتى القرن الرابع عشر ـ اقرأ هذا ليتجلى لك حديث الغدير شمساً ساطعة رغم كل مكابر... الغدير، طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، وراجع جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ـ الجزء الأول، صفحة /٦٤/ طبع دار الروائع ـ بيروت، وراجع الحاكم الحسكاني الحنفي المذهب: شواهد التنزيل من صفحة /١٥٦ ـ ١٥٨/، منشورات مؤسسة الأعلمي، لبنان ـ بيروت، تحقيق الشيخ المحمودي.

بينما كان علي عليه السلام هو هذا المثل الأعلى في أحكام الله ورسوله، كان معاوية، طليقَ ابن طليق[1].. ومن المؤلفة قلوبهم[2].

كانت كل فضيلة من فضائل علي تزرع في أعصاب معاوية جمراً لا ينطفىء من القلق المرهق...

ماذا يفعل ليزحزح مكانة علي من قلب الإسلام والمسلمين..؟؟[3]

ماذا يفعل ليشوِّه سمعة الإمام علي عند جماهير المسلمين؟؟

حَسَدٌ يشوي قلبه..

حقد يشرب دمه..

أمويَّةٌ جاهلية تقيمه وتقعده..

ماذا يفعل؟؟

(١) عندما فتحت مكة أبوابها لرسول الله صلى الله عليه وآله خطب في رؤساء الشرك والطبقية... فقال: ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟؟
قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.
ـ اذهبوا، فأنتم الطلقاء، وكان منهم معاوية ووالده أبو سفيان.

(٢) المؤلفة قلوبهم نفر من قريش دخلوا الإسلام كرهاً، فجعل الله لهم سهماً في الزكاة تأليفاً لقلوبهم حتى يسكنوا إلى الإسلام، وكيلا يثيروا الشقاق والفتن بين المسلمين، وكان منهم أبو سفيان وابنه معاوية.

(٣) قال علي يوماً: «أنا عبد الله، وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس بسبع سنين» (راجع سنن الحافظ ابن ماجه ـ الجزء الأول الحديث /١٢٠/ والجزء الثالث من مستدرك الحاكم صفحة /١١٢/.

ماذا يفعل؟؟

لم يغب عن المرتزقة ما كان يعتمل في وجود معاوية من البغضاء لعلي بن أبي طالب[1].

لم يغب عنهم أنه كان يخشى أن تعود الخلافة بعده إلى أبناء علي، لأنهم أبناء الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[2] وهو لا يرضى أن يكون خليفة المسلمين إلا أمويًّا سفيانياً. . .

وضع الأحاديث:

إذن فهم كانوا يعلمون كل خلجة تتثاءب في خاطر معاوية. .

---

(1) يروي شيخ الشافعية محب الدين الطبري في كتابه «ذخائر العقبى» عن أنس بن مالك، قال: صعد رسول الله المنبر فذكر قولاً كثيراً، ثم قال: أين علي بن أبي طالب؟؟ فوثب إليه، فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فضمه إلى صدره، وقبل بين عينيه وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين! هذا أخي وابن عمي، وختني، هذا، لحمي، ودمي، وشعري، هذا أبو السبطين: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكروب عني، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضيه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، والله بريء منه، وأنا بريء منه، فمن أحَبَّ أن يبرأ من الله ومني، فليبرأ من علي، وليبلغ الشاهد الغائب. . .» (راجع صفحة /٩٢/ من الذخائر، الناشر مكتبة القدسي في القاهرة عام ١٣٥٦ هـ.

(2) أخرج مسلم عن عائشة قالت: «خرج النبي غداة وعليه مِرْط مرحَّل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» راجع باب فضائل علي، (ج ٧) من صحيح مسلم صفحة /١٣٠/ ـ مكتبة ومطبعة: محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر.

وها هي ذي الفرصة المواتية للاستغلال، والظهور تسنح لهم، فهل يتركونها تمر دون أن يصيدوها بشباكهم؟؟

بيد أنهم رأوا فيما يريدون أن يفعلوا شراً يصغر عنده كل شر.. رأوا فيه خيانة لله، ولرسوله، وهدماً لمبادىء الإسلام..

إنهم على وشك أن يختلقوا أحاديث عن رسول الله عامدين.. والرسول قال: من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار..

فتوقفوا.. تهيبوا دخول هذا المعترك الجهنمي.. ولكن توقفهم كان آنياً.. إذ ما لبث معاوية أن لوح لهم بالذهب الوهاج... وترف الجاه، والسلطان.

فتأججت مطامعهم في صدورهم، بعدما خبت.. وانطلقت وساوسهم تصور لهم شهواتهم حوراً عيناً، كأمثال اللؤلؤ المكنون ـ وهذه الحور تكشف عن مفاتنها أمامهم، وتلتصق بهم بجميع مغرياتها، ومفاتنها.. فإذا وجوههم تعنو لها.. وإذا هم ينزلون عند رغبات معاوية ويواقعون الجريمة النكراء.. وإذا هم يضعون أحاديث عن رسول الله تنال من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتمجد معاوية، ومن يريده معاوية.

ولم لا يفعلون ذلك، وهو ذا معاوية يفرض مسبة علي وبنيه ومن يحبهم من على المنابر[1]؟؟..

---

(١) راجع ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج ـ المجلد الثالث، صفحة ٢٢/ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦/ لترى عجباً من وضع الأحاديث وبيع (المرتزقة) دينهم بدنياهم، ولترى أن معاوية بغى بغياً ما عرف تاريخ الإنسانية أقبح منه وجهاً..

. . . .

= قال الشيخ محمد أبو زهرة أحد علماء الأزهر الشريف المعاصرين في كتابه: جعفر الصادق صفحة /١١٢/ طبع دار الفكر - بيروت؛ قال: «اتَّخَذَ ملوكُ بني أميَّة سُنَّةً لعنَ إمام الهدى علي كرم الله وجهه، وإنه ليدل على مقدار ما كان يُكنه أولئك الحكام من حقد دفين لآل البيت، وقد لام كثيرون معاوية على ذلك العمل البالغ أقصى حدود الحقد».

«ولقد أرسلت أم المؤمنين السيدة أم سلمة تقول له: إنكم تلعنون الله ورسوله إذ تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومن يحبه، وأشهد أن الله ورسوله يحبانه» اهـ.

ويروي الإمام البخاري في صحيحه - الجزء الرابع صفحة /٧٣/ مطابع دار الشعب أن رسول الله /صلى الله عليه وآله/ قال في غزوة خيبر: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ثم دعا عليًّا فأعطاه الراية» اهـ.

ويروي المسعودي في الجزء الثاني من تاريخه «مروج الذهب» صفحة /٤٢٣/ الطبعة الأولى تشرين أول ١٩٦٥ (دار الأندلس - لبنان - بيروت) - يروي «أن ابن عباس مَرَّ بقوم ينالون من علي ويسبونه، فقال لقائده: أدْنني منهم، فأدناه، فقال: أيُّكم الساب لله؟؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسبَّ الله، فقال: أيُّكُمُ السابُّ رسول الله صلى الله عليه وآله؟؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نسب رسول الله، فقال: أيكم السابُّ علي بن أبي طالب؟ قالوا: أما هذه فنعم. قال: أشهد لقد سمعت رسول الله يقول: «من سبني فقد سَبَّ الله، ومن سَبَّ عليًّا فقد سبني» اهـ.

ويروي الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب في الجزء الأول من كتابه ينابيع المودة صفحة /١٣٠/ طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت، يروي بسنده عن رسول الله أنه قال لأم سلمة: «يا أم سلمة!! هذا عليٌّ أحبيه، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، واسمعي، واشهدي أنه قاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين من بعدي، وهو قاصم أعدائي، ومحيي سنتي. واسمعي، واشهدي، لو أن عبداً عبد الله ألف عام، وألف عام، وألف عام، بين الركن والمقام، ولقي الله مبغضاً لعلي وعترتي أكبه الله على منخريه في جهنم يوم القيامة» اهـ.

(والأحاديث المتفق عليها بوجوب حب علي، وبراءة الله ورسوله من مبغضه كثيرة جداً). =

وجن ـ أبو يزيد ـ فرحاً، لقد وجد سلاحاً جديداً فتاكاً يحارب به علياً الذي لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق.. هذا السلاح يقدمه له أولئك الذين يزعمون أنهم من أصحاب رسول الله.

وأمر معاوية بإرسال الأحاديث الْمُخْتَلَقَة ينشرها تحت كل كوكب سطع فيه الإسلام.. وفرض أن تعلم للصبيان في الكتاتيب.. وأن يخطب بها الخطباء على المنابر أيام الجمع والأعياد.

أصحاب الصحاح:

وبهذه الطريقة البارعة انفتح أمام الأحاديث المختلقة عالم الإسلام، وتوارثها المسلمون جيلاً.. بعد جيل.. ولما شرع

= وراجع تاريخ ابن الأثير ـ الجزء الثالث، صفحة /٤٧٢/ لتقرأ عن معاوية: أنه عندما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة عام (٤١) أوصاه قائلاً: «لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي، والإقصاء لهم، والإطراء بشيعة عثمان، والإدناء لهم».

وتقول مجلة «عالم الفكر» المجلد الثاني عشر ـ إصدار وزارة الأعلام الكويتية عدد كانون الثاني، شباط، آذار، نقلاً عن خطط المقريزي الجزء الثاني ص /٢٥٤/ ١٩٨٢، صفحة /١٣٦٠/: «وقد ظل القصاص في مجالسهم، والخطباء على منابرهم ينفذون تعاليم معاوية التي أصبحت ناموساً متبعاً لدى من جاء بعده من الخلفاء» واستمرت تقول نقلاً عن الكامل للمبرد ـ الجزء الأول صفحة /١٥٧/:

«ظلت الأمور تسير على هذا النهج حتى ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ)... الذي وضع حداً لذلك التقليد غير المحمود، فبدأ بنفسه وترك الطعن في العلويين.. وكتب إلى عماله بتركه أيضاً».

ثم يقول: «فلما جاء خلفاؤه أعادوا الأمر إلى سيرته الأولى».

أصحاب الصحاح يطوفون في الأقطار الإسلامية ويجمعون أحاديث الرسول سبكوها في كتبهم على أنها أحاديث صادرة عن رسول الله. لقد تم جمع وتدوين تلك الأحاديث من صدور حفاظ الحديث بعد أكثر من مئة عام من موت معاوية.. وقد ذهب مذهب معاوية كل سلاطين أمية الذين جاؤوا بعده ما عدا عمر بن عبد العزيز، فرسخت تلك الأحاديث في الصدور.. ثم استقرت في كتب الصحاح كما فكر معاوية وقدر، ودبر..

النّقد العلمي:

وقام بعد ذلك البحث العلمي يظهر زيفها، وزورها... يقول أصحاب تاريخ العرب والإسلام ـ وبلغ اهتمام المسلمين بجمع الأحاديث النبوية، ونقدها نقداً علمياً الذروة في العصر العباسي[1].

وكان من تلك الأحاديث النبوية المختلقة، الأحاديث التي جعلت من أبي طالب كافراً، لأنه والد علي بن أبي طالب وجعلت من أبي سفيان صحابياً، جليلاً لأنه والد معاوية.

أما واضعو الأحاديث فقد رتعوا في جنات معاوية كما يشتهون.

* * *

نتائج النقد العلمي:

ولكن، ماذا كانت نتائج النقد العلمي، بعد تدوين كتب الصحاح ونشرها؟؟

---

(١) راجع الصفحة ١٧٨ من الكتاب، طبع وزارة التربية العربية السورية ١٩٧٥.

حتى الآن، ما تزال النتائج تتأرجح بين القبول العاقل من أناس.. والاعتراض المتعصب بلا برهان من آخرين.. يقول المعترضون: لقد أوردتها كتب الصحاح.. ومعنى هذا أنه لا يجوز نقد، ولا تمحيص.. بل ولا يُبيحون الدخول في نقاش علمي ينهض على أساس مجرى الحوادث التاريخية التي عاشها الرسول، والتي جاءت بعده.. حتى، ولا على أساس ما يتفق مع نفسية الرسول المقدسة وخلقه العظيم ومبادئه الربانية.. لا يبيح المعترضون شيئاً من هذا، بل يطلبون استسلاماً، مطلقاً، أعمى، كأنَّ أصحابَ الصحاح أخذوا أحاديثهم من الرسول مباشرة.. وكأنَّ أصحاب الصحاح كانت تتداخلهم العصمة حينما كانوا يجوبون الأمصار ويأخذون الأحاديث من رُواتها، وكأنّ المؤرخين والمحدّثين لم يُثبتوا أنَّ معاوية أمر بوضع أحاديث عن الرسول تدعم سياسته الأمويّة.. وكأنما لم يثبت أنه لم يصح عند أبي حنيفة إلا سبعة عشر حديثاً من كل ما روي عن الرسول.

وهكذا.. ما برح النقد العلمي.. والتحرر العقلي يترجحان بين السلب، والإيجاب..

أبــو طالــب مســلم مــؤمــن:

ونحن الآن، فيما نكتبه لرفع تهمة الكفر عن أبي طالب، نتبع أُسلوباً معيناً، هـذا الأسلوب هـو: درس أخـلاق، ونفسيـة «الصحابي» الذي وضع الحديث.. وبعـد هذا الـدرس تبرز الحقائق بجوهرها الصافي، وينكشف الكذب بلونه القاتم الكريه وقبل البدء بالدراسة لا مفر من القول: إن معاوية وخلفاءه في الحكم، والفكر.. لقّنوا المسلمين تقديس كلمة «صحابي» كائناً

مَنْ كان ذلك الصحابي بصرف النظر عن سلوكه بعد الرسول. .
حتى أنه يُحرم نقد ذلك السلوك، ولو كان مخالفاً لتعاليم القرآن الكريم، وسنة رسول رب العالمين، والغاية من ذلك هي: أن يظل جميع ما يُرْوى عنهم متلبساً بالصدق في نفوس عامة المسلمين. . وأن يظل جميع ما مارسوه من أفعال مكان التبجيل والاحترام. . ولعل ذلك هو السبب الوحيد الذي يجعل النقد العلمي غير مقبول عند المعترضين. . لأنهم لا يقبلون أن يتركوا المربض الذي وضعهم فيه معاوية، منذ انحرف معاوية، وجعل الخلافة ملكاً وراثياً، بينما أوجبها الله في كتابه الحكيم شورى[1].

صحابــة أحدثــوا بعــد الرســول:

وَحَقًّا، فإنَّ سنة معاوية ما زالت سائدة بالنسبة لكلمة «صحابي»، كأن الدين الإسلامي لم يَدْعُ إلى تحرير العقل من الخرافة، والتقليد، والجمود، وكأنه لم يَدْعُ المُسلم إلى أن يستعمل عقله في كل ما يقع تحت حسه، وكأن القرآن لم ينقد الصحابة عندما كانوا يخطؤون. . وكأن الصحابة لم ينتقدوا بعضهم، وكأن رسول الله لم يضع حدًّا لتقديس الصحابة الذين يحيدون عن أمر ربهم حين قال: يُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا ربي أصيحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء

---

(١) قال عمرو بن العاص لمعاوية: «يا معاوية إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمد /ص/ قرابة قريبة ورحم ماسَّة، وقدم في الإسلام لا يعتد أحد بمثله، وحدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمد، وإنه قد سار إليك بأصحاب محمد المعدودين، وفرسانهم، وقرائهم، وأشرافهم، وقدمائهم في =

شهيد، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم[1]

أعود فأقول: إنني سأنهج طريقة الدرس والتحليل في الدفاع عن أبي طالب - درس وتحليل. نفسية وأخلاق الصحابي الذي طبخ الحديث في جرابه ونسبه إلى النبي، وسأقتصر على تقديم نماذج من حياة علمين من أعلام تلك الفئة نَتَبَيَّنَ من خلالها نفسيتيهما وأخلاقهما. . ونفسية، وأخلاق من سلك دربهما لأن الجميع، يركضون في حَلْبة واحدة، لغاية واحدة.

أمّا هذان العلمان فهما: المغيرة بن شعبة، وأبو هريرة، على أن نبدأ بالمغيرة الذي وضع حديثاً عن الرسول قال فيه: «إن أبا طالب في ضحضاح من النار»[2].

إســـلام المغيـــرة وسببـــه:

يقول ابن قتيبة في كتابه المعارف: كان المغيرة صاحب قوماً من المشركين، فقتلهم غيلة، وأخذ ما معهم[3].

= الإسلام، ولهم في النفوس مهابة. . إلى قوله: «ومهما نسيت فلا تنسَ أنك على باطل، وأن علياً على حق».

(راجع ابن أبي الحديد: شرح النهج - ج - ٥ - ص - ١٨٠ - طبعة ثانية ١٩٦٥).
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - المصري

(١) راجع، صحيح البخاري: الجزء السادس (كتاب المائدة) صفحة /٦٩/، وأخرج الحديث في الصفحة /٧٠/ أيضاً، مطابع الشعب ١٣٧٨؛ وأخرجه في الجزء التاسع (كتاب الفتن) صفحة /٥٩/.

(٢) راجع ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج، المجلد الثالث، صفحة /٤٦٦/ طبعة عام ١٩٥٤، قال ابن أبي الحديد تعليقاً على حديث المغيرة: «قالوا: وأما حديث الضحضاح من النار فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد هو المغيرة بن شعبة وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص علي عليه السلام مشهور معلوم، وقصته وفسقه غير خاف».

(٣) راجع الصفحة ١٢٨، ط، ١٩٧٠.

هكذا غدر برفاقه فقتلهم، وأخذ نقودهم، ولما خشي أن يطلب بالثأر من ذويهم، جاء رسول الله، فدخل في الإسلام ليحمي نفسه، وكان ذلك في العام السادس للهجرة.

ويقول ابن أبي الحديد عن هذه الحادثة: المغيرة جاء بنقود الثلاثة عشر رجلاً الذين غدر بهم إلى رسول الله ليخمسها، فقال له رسول الله: «أما إسلامك فقد قبلته، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً، ولا نخمسها، لأن هذا غَـدْرٌ، والغدر لا خير فيه»[1].

عبد الرحمن بن عوف الزهري يتهم المغيرة بالكذب، والنفاق:

يقول صاحب العقد الفريد: قال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن بن عوف الزهري حينما بايع عثمان بالخلافة: يا أبا محمد!! قد أصبت إذ بايعت عثمان، ولو بايعت غيره لما رضيناه. فقال له عبد الرحمن: كذبت يا أعور، لو بايعت غيره لبايعته، وقلت هذه المقالة[2].

عمر يقول للمغيرة: أنت الفاجر:

قال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد: إن عمر بن الخطاب، قال لما شكا إليه أهالي الكوفة سعد بن أبي وقاص: من يعذرني من أهل الكوفة؟؟ إن وليت عليهم التقي ضعفوه، وإن وليت عليهم القوي فجروه. فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين إن التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقوي الفاجر لك قوته، وعليه

---

(١) راجع هذه الحادثة مفصلة في ص ٦١٨ من المجلد الرابع من شرح النهج

(٢) راجع الجزء الخامس من المجلد الثالث من العقد، ص ٣٠، تحقيق العريان، وراجع: ابن الأثير ـ الكامل الجزء الثالث، صفحة /٣٨/.

فجوره. فقال: صدقت، فأنت القوي الفاجر، فولاه الكوفة[1].

المغيـرة يختلـق الأحاديـــث:

قال ابن أبي الحديـد المعتزلي: إن أبـا جعفر الأسكـافي المعتزلي قال: إن معاوية جعل جعلاً لقوم من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقضي الطعن فيه، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيـرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير[2].

المغيـرة يشيـر على معاوية بتولية يزيد[3]:

قال صاحب العقد الفريد: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر، وخاف أن يستبدل به غيره: أما بعد فقد كبرت سني ورق عظمي، واقترب أجلي، وسفهني سفهاء قريش، فرأيُ أمير المؤمنين في عمله مُوَفَّق.

فكتب إليه معاوية: أما ما ذكرت من كبر سنك، فأنت أكلت شبابك، وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك، فإني لو أستطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان، وأما ما ذكرت من سفهاء قريش، فحلماؤها أحلوك ذلك المحل، وأما ما ذكرت من العمل فضح رويداً، يدركِ الهيجا حمل..

---

(١) راجع ص ١٦ من الجزء الأول من العقد الفريد المذكور.
(٢) راجع صفحة ٣٥٨ من الجزء الأول من شرح النهج، ط، ١٩٥٤.
(٣) راجع صفحة ٦٠ ـ ٦١ من الجزء الأول من المجلد الأول للعقد، تحقيق محمد سعيد العريان.

فلما انتهى الكتاب إلى المغيرة، كتب إليه يستأذنه في القدوم فأذن له، فلما دخل عليه، قال له معاوية: يا مغيرة، كبرت سنك، ورق عظمك، ولم يبق منك شيء، ولا أراني إلا مستبدلاً بك، فانصرف المغيرة، وقد بدت الكآبة في وجهه وأخبر الذين كانوا معه بما كان من أمره. قالوا له: فما تريد أن تصنع؟؟ قال: ستعلمون ذلك.

فأتى معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الأنفس يُغدى عليها ويُراح، ولستَ في زمن أبي بكر، ولا عمر، فلو نصبت لنا علماً من بعدك نصير إليه، فإني كنت، قد دعوت أهل العراق لبيعة يزيد.

فقال له معاوية: يا أبا محمد، انصرف إلى عملك، وَرُمْ هذا الأمر لابن أخيك.

يقول مرافقو المغيرة: فأقبلنا نركض على النجب، فالتفت المغيرة فقال: لقد وضعت رجله في ركاب ألقى عليه أمة محمد[1].

المغيـــرة الـزانـــي:

عد الثعالبي في كتابه: لطائف المعارف، المغيرة بن شعبة من طبقة الزناة[2]. ويقول ابن أبي الحديد: إن حسان بن ثابت هجاه

---

(١) يعترف أنه خان أمة محمد لأنه اشار بتولية يزيد ولكنه يريد أن يظل حاكماً على الكوفة، وليكن الطوفان.

(٢) راجع صفحة ١٠٠ من اللطائف وراجع صفحة ٧٢ من الجزء الثاني من تاريخ =

على زناه، فقال له:

تـركت الـدين والإسـلام لـمـا
بـدت لك غـدوة ذات النصف[1]

المغيـرة الانتهـازي:

يقول المستشرق كارل بروكلمان الألماني، في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية: ولى معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة، وهو رجل انتهازي، لا ذمة له، ولا ذمام[2].

وفي سنة (٦٣٨ م) عزل من منصبه بسببٍ من سوء السيرة الأخلاقية[3].

إسـلام المغيـرة غيـر صحيـح:

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة، ولكنه أظهر الإسلام[4].

المغيـرة الـراشـي:

روى ابن الأثير في الجزء الرابع من «أسد الغابة» صفحة

= أبي الفداء وراجع صفحة /١٦٨/ من المجلد الثالث من شرح النهج حيث ترى الحسن يقول للمغيرة: إن حد الله في الزنا عليك لثابت.

(١) راجع ص ٢٤٠ من المجلد الثالث من شرح النهج المذكور.

(٢) راجع صفحة ١٢١ طبعة ١٩٦٥.

(٣) المصدر السابق صفحة /١٢٢/.

(٤) راجع ص ٦١٧ من المجلد الرابع من النهج، ط، ١٩٥٤، وقد أورد هذه الحادثة مفصلة صاحب الأغاني كما ذكر ابن أبي الحديد، راجع صفحة /٦١٨/.

/٤٧٢/ (ط. دار الفكر ـ بيروت) أن «المغيرة أول من رشى في الإسلام، أعطى «يرفأ» حاجب عمر بن الخطاب شيئاً حتى أدخله إلى دار عمر» اهـ.

المغيرة وعمرو بن العاص أفسدا الإسلام:

قال الحسن البصري: «أفسد أمر هذه الأمة اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، والمغيرة بن شعبة حين أشار على معاوية بتولية يزيد ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة»[1].

هذه لقطاتٌ من حياة المغيرة بن شعبة انتزعناها من التاريخ الإسلامي؛ ونتركُ المغيرة الآن لنخلصَ إلى «أبي هريرة» الذي وضع الحديث التالي عن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله لعمه أبي طالب: «قل: أشهد أن لا إلّه إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة» فأبى.

ونرى أن نذهب مع أبي هريرة، كما ذهبنا مع «المغيرة»، فنأخذ من كتب التاريخ والحديث، نتفاً من حياته تكشف عن نفسيته وأخلاقه..

أبو هريرة الأجير الجائع:

يقول الدينوري في كتابه المعارف: إن أبا هريرة حدث عن نفسه فقال: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق: الشورى في الإسلام، طبع بيروت (١٩٧٥).

بنت غزوان، على طعام بطني، وكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدو إذا ركبوا، وكُنيتُ بأبي هريرة بهرة صغيرة، كنت ألعب بها[1]، وقد رافقته هذه الهرة بعد إسلامه، وكان قد تجاوز الثلاثين من عمره، لما رآه النبي يحملها في كمه، فقال له: يا أبا هريرة[2]!! ويحدثنا صحيح البخاري: إن أبا هريرة تحدث عن جوعه فقال: لقد رأيتني وإني لأخر صريعاً بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة، مغشياً عليّ فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون ما بي إلاّ الجوع[3] وأورد البخاري عن أبي هريرة أنه قال: كنت امرءاً مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني[4].

أبو هريرة يطلب لنفسه عطاء ولغيره.. حرماناً:

قدم أبو هريرة على رسول الله بعدما انتهى من فتح خيبر وكان الرسول يوزع الغنائم على المحاربين الأبطال.. وإذا أبو هريرة يطلب من الرسول أن يعطيه من مغانم غزوة خيبر.. ثم قذفه خلقه في مهواة.. فإذا هو يطلب من الرسول: أن لا يعطي أبان بن سعيد بن العاص، فتوهج أبان غضباً، وقال له: أتطلب من رسول الله أن يمنعني، وقد شوتني المعركة بنارها، وتطلب لك عطاء، ولم تَرَ المعركة؟؟

(١) راجع ص ١٢٠ من كتاب المعارف، ط، ١٩٧٠.
(٢) راجع القاموس المحيط للفيروزابادي.
(٣) راجع الجزء التاسع من صحيح البخاري، صفحة ١٢٨ مطابع الشعب.
(٤) راجع باب الحرث والمزارعة، صفحة ١٤٣ من المجلد الثالث من الصحيح.

ثم نظر إليه بازدراء وقال: واعجباً، لِوَبْرٍ[1]، تدلى علينا من «قدوم ضأن»[2]!!.

فأعطى النبيُّ أبانا، ولم يُعْطِ أبا هريرة شيئاً[3].

أبو هريرة يثري من أموال الدولة.. فيجلده عمر، ويقول له: من أين لك هذا؟؟:

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: دعا عمر أبا هريرة، فقال له: علمت أني استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار، وستمائة دينار.

ـ كانت لنا أفراس فتناتجت، وعطايا تلاحقت.

ـ حسبت لك رزقك، ومؤونتك، وهذا فضل فأده.

ـ ليس لك ذلك.

ـ بلى، والله، وأُوجع ظهرك، ثم قام إليه بالدرة، فضربه حتى أدماه.. ثم قال: ائْتِ بها.

ـ أحتسبها عند الله.

ـ ذلك لو أخذتَها من حلال، وأدَّيتها، طائعاً.

---

(١) الوبر: حيوان بحجم القط من الخرطوميات (المنجد).

(٢) قدوم ضأن: جبل في اليمن حيث تسكن عشيرة سليم بن فهم قوم أبي هريرة ويقال: إنه اسم لرأس جبل.

(٣) محمود أبو ريَّة: شيخ المضيرة، ص /٤٦/، طبعة ثالثة (دار المعارف في مصر).

ثم وبخه منكراً ثراءه على حساب الشعب، فقال له: أجئت من أقصى جحر في البحرين يجبي لك الناس، لا لله، ولا للمسلمين[1]؟؟ ثم لفه بنظرة ترشح بالهوان، وقال له: ما رجعت بك سمية، إلا لرعي الحُمُر، وَقَبَضَ منه المال.. وأعاده لبيت مال المسلمين، وعزله[2].

أبو هريرة يكذب نفسه، والرافعي يثبت: أن عمر، وعليًا وعثمان وعائشة كذبوه:

يقول صاحب الإصابة: إن أبا هريرة حدث عن نفسه فقال: قدمت، ورسول الله بخيبر، وأنا يومئذٍ قد زدت على الثلاثين فأقمت معه حتى مات[3].

والصحيح الثابت أن أبا هريرة أسلم في صفر العام السابع للهجرة، وأرسله النبي مع العلاء بن الحضرمي في شهر ذي القعدة في العام الثامن للهجرة.

ويروي عنه ابن سعد في طبقاته أنه قال: بعثني رسول الله مع العلاء بن الحضرمي، وأوصاه بي خيراً[4].

ثم لم يعد إلى المدينة إلا بعد وفاة الرسول بأعوام[5].

---

(١) راجع الجزء الأول من العقد صفحة /٣٤/، تحقيق محمد سعيد العريان، مصر..

(٢) ولاه في العام الحادي والعشرين للهجرة، وعزله في العام الثالث والعشرين..

(٣) راجع الجزء السابع من الإصابة صفحة ٣٠٥.

(٤) راجع الجزء الرابع من طبقات ابن سعد صفحة /٧٧/.

(٥) راجع صفحة /٦٧/ من كتاب شيخ المضيرة لمحمود أبو رية.

أما الرافعي صاحب إعجاز كتاب القرآن فيقول في كتابه تاريخ الآداب العربية: كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية وقد صَحِبَ النبيَّ ثلاثَ سنين. . وَعُمِّرَ بعده نحواً من خمسين سنة ولهذا كان عمر، وعثمان، وعلي، وعائشة، ينكرون عليه، ويتهمونه بالكذب، وهو أول راوية اتهم في الإسلام، وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه، إذ توفيت قبله بسنة[1].

وابن عمر يكذبه:

جاء في كتاب جامع العلم لابن عبد البر ما يأتي: عن طاوس قال: كنت جالساً عند ابن عمر، فأتاه رجل، فقال له: إن أبا هريرة يقول: إن الوتر ليس بحتم، فخذوا منه، ودعوا. فقال ابن عمر: كذب أبو هريرة[2].

والإمام أبو حنيفة يكذبه ويرفض روايته:

جاء في المثل السائر: إن الإمام أبا حنيفة قال لتلميذه أبي يوسف: الصحابة كلهم عدول، ما عدا رجالاً وعد منهم أبا هريرة.

والجاحظ يقول: إن أبا هريرة ليس بثقة:

ذكر الجاحظ في كتابه المعروف بالتوحيد أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «ولم

---

(١) راجع تاريخ الآداب العربية للرافعي الجزء الأول، صفحة «٢٧٥» طبعة رابعة (١٩٧٤) «مات أبو هريرة سنة (٥٩) هـ» وصفحة /٢٧٨/ من شيخ المضيرة لأبي رية.

(٢) راجع صفحة /١٥٤/ من الجزء الثالث من كتاب ـ جامع بيان العلم.

يكن علي عليه السلام يوثقه في الرواية، بل يتهمه ويقدح فيه وكذلك عمر وعائشة»[1].

والإمام الشيخ محمد عبده يقول عنه: إنه مختلق:

أورد السيد محمد رشيد رضا في كتابه تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: إن الشيخ محمد عبده قال: إن أبا هريرة اختلق من الأحاديث ما أرضى معاوية[2].

والعماد الحنبلي يتهمه بالتلون:

يقول العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب: كان أبو هريرة يصلي خلف علي، ويأكل على سماط معاوية، ويعتزل القتال[3].

خلق جاهلي يتنزه عنه الإسلام:

رأينا أبا هريرة يقول ـ فيما سبق ـ: أنه كان أجيراً عند بسرة بنت غزوان[4]، ولكن عندما قفز معاوية إلى سدة الحكم أكرهت بُسْرَة هذه أن تتزوج أبا هريرة.

ويورد ابن سعد في الجزء الرابع من طبقاته، في ترجمة أبي هريرة: إن أبا هريرة تحدث عن ذلك الزواج فقال: أكريت نفسي

---

(١) راجع، ابن أبي الحديد: شرح النهج المجلد الرابع، صفحة /٦٣٠/ طبع دار الفكر ـ بيروت ١٩٥٤.

(٢) راجع، محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده الجزء الثاني، صفحة /١٧٦/.

(٣) راجع العماد الحنبلي: الشذرات ـ الجزء الأول، صفحة /٦٤/.

(٤) بسرة بنت غزوان أخت القائد العربي عتبة الذي بنى البصرة.

من ابنة غزوان على طعام بطني، فكانت تكلفني أن أركب قائماً، وأورد حافياً، فلما كان بعد ذلك، وتزوجتها كلفتها أن تركب قائمة، وتورد حافية.. وفي حديث آخر له: فأرحلتها كما أرحلتني.. الخ، أي أنه شرع يعاملها، وهي زوجته، كما كانت تعامله، وهو أجير عندها، وذلك مخالف لمبادىء الإسلام... ولكنه أبو هريرة يطبق تحت راية القرآن، قواعد الجاهلية الأولى.

وآيات قرآنية زعموا أنها نزلت في أبي طالب:

يروي ابن سعد في طبقاته ـ الجزء الأول المذكور صفحة /١٢٣/ بإسناده إلى علي بن أبي طالب قال: «أخبرت رسول الله بموت أبي طالب، فبكى، ثم قال: «اذهب فغسله، وكفنه، وواره، غفر الله له».

قال: ففعلت ما قال، وجعل الرسول يستغفر له أياماً، ولا يخرج من بيته، حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى ﴾ (التوبة: ١١٤).

ويأخذ برواية ابن سعد هذه مفسرو القرآن الكريم بلا تثبت ولا تحقيق علمي، نذكر منهم على سبيل المثال: محمد فريد وجدي في شرحه (المصحف المفسر).

قال وجدي: «نزلت هذه الآية لما قال النبيُّ لعمه أبي طالب ـ وقد أبى عليه الإسلام ـ لا أزال أستغفر له، ما لم أُنْه، أما تفسير جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين بن عبد

الرحمن بن أبي بكر السيوطي فإنه يقول: «ونزل في استغفاره لِعَمِّهِ أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين».

وبما أننا واثقون ثقة مطلقة أن كُلَّ ما قيل عن أبي طالب: إنه مات ولم يعتنق الإسلام، موضوعٌ لإرضاء السلطة الحاكمة، والظفر بمكاسبها. . فقد رجعنا إلى كتاب الله نستوضحه عن الزمان والمكان اللذين نزلت فيهما الآية، فماذا وجدنا؟؟

يقول ابن سعد في الصفحة /١٢٥/ من طبقاته: «توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نُبِّىء رسول الله»، إذن، فأبو طالب توفاه الله في السنة العاشرة للبعثة المحمدية، والمؤرخون مجمعون أن الرسول هاجر من مكة إلى المدينة في السنة الثالثة عشرة للبعثة، وهذا برهانٌ واضح أن الرسول بقي في مكة، بعد وفاة عمه ثلاثة أعوام، فإذا وضعنا هذا في أذهاننا، ورجعنا إلى مجمع البيان في تفسير القرآن ـ للطبرسي، نجده يتحدث عن سورة التوبة فيقول: ﴿ وهي مدنيَّةٌ كلها ﴾؛ وقال بعضهم: «غير الآيتين الأخيرتين منها».

ثم يقول: نزلت سنة تسع للهجرة، وفتحت مكة سنة ثمانٍ، وحج رسول الله حَجَّة الوداع سنة عشر، وقال قتادة، ومجاهد: «وهي آخر ما نزلت على النبي في المدينة» (راجع مجمع البيان: التوبة).

وعدنا إلى تفسير الجليلين، فإذا هو عين ما أورده الطبرسي ـ إنه يقول: «سورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين، فمكيتان وآياتها (١٣٠) نزلت بعد سورة المائدة.

ويقول تفسير الجليلين عن سورة المائدة: «إنها نزلت بعد فتح مكة» (راجع تفسير الجليلين: المائدة والتوبة).

بعدما كشفنا عن المكان والزمان اللذين نزلت فيهما آية: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا.. ﴾ الآية، نكمل تحقيقنا العلمي فنقول: إن المدة بين وفاة أبي طالب، وبين نزول الآية اثنا عشر عاماً ـ ثلاثة منها قضاها الرسول بعد وفاة عمه في مكة وتسعة بعدما هاجر إلى المدينة، بينما تقول رواية ابن سعد: «وجعل رسول الله يستغفر لعمه أياماً، ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿ ما كان للنّبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾.

ونتساءل بعد هذا: ما رأيُ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟؟

إننا لا نعلق بشيءٍ بل نترك لأولي الألباب أن يقولوا: كلمة الفصل...

ورواية ثانية لابن سعد:

وينقل إلينا ابن سعد رواية ثانية هي الأُخرى الافتراء مُجَسَّماً، قال: «نزلت في أبي طالب آية: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص: ٥٧).

قال الطبرسي في شرحه: مجمع البيان تعليقاً على ما أوردوه

من سَبَب نزول هذه الآية: «يروون عن ابن عباس[1] وغيره أن النبيَّ كان يُحب إسلام عمه أبي طالب وكان يكره[2] إسلام وحشي[3] قاتل الحمزة، فنزل فيه: ﴿ يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنـوب جميعاً ﴾ (الزمر: ٥٣)».

أيُّ كلام هو هذا...؟

أليست كلمة «التعجب» تافهة بالنسبة إليه..؟؟

الرسول يُحبُّ أن يدخل عمه في الإسلام...

ويكره أن يدخل فيه وحشي...

والله لا يشاء أن تتحقق رغبة نبيه في إسلام عمه الذي ربَّاه، وحماه من سيوف المشركين، وسقى غرسة الإسلام بجهاده الثائر

---

(١) ولد ابن عباس في العام الذي مات فيه أبو طالب، وقُبض الرسول وعمره عشر سنين، ومع ذلك يسندون الحديث لابن عباس وعلي ليوهموا الناس أن الرواية صادقة، بينما هي ـ كما تبيَّن لك ـ اختلاقٌ صرف (راجع في ذلك: ابن حجر، الإصابة في التمييز بين الصحابة ـ حرف العين ـ القسم الأول، الجزء الثاني صفحة /٣٣٠/؛ وابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في هامش الإصابة صفحة /٣٥٠/ ـ الجزء الثاني، طبعة جديدة بالأوفست ـ مكتبة المثنى بغداد، طبعة أولى ١٣٢٨ هـ. واقرأ ما أورده صاحب مجمع البيان عند تفسير الآية (٥٦) من سورة القصص.

(٢) جاء في شرح الجليلين أن السورة مكية، ولكن الرواية جعلتها مدنيَّة.

(٣) وحشي بن حرب ويكنى (أبا دسمة) من سودان مكة عبد لجبير بن مطعم، قتل حمزة، فأتى النبي مسلماً، فقال له: «غيب وجهك عني، خرج إلى الشام، فنزل بحمص، كان يشرب الخمر، وهو أول من حُدَّ بالشام في الخمر». (المعارف).

حتى رست جذورها، وعلا فرعها.. وآمن بمحمد نبيًّا.. ودعا قريشاً والعـرب ومليك الحبشـة إلى الإيمان بنبـوته.. وتَغَنَّى بمحامده الرحمانية.. و.. و..

أبو طالب وهو هذا، لا يشاء الله له أن يدخل في الإسلام رغم حب نبيه لذلك...

ولكنه ينزل قرآناً يرغب فيه وحشياً بالدخول في الإسلام، وَيُبَشِّرُهُ برحمته...

ووحشيٌّ هذا هو الذي قتل عم الرسول الحمـزة بن عبد المطلب غيلةً في وقعة أحد.. وقد وصفه الرسول بأنه: أسد الله وأسد رسوله فكيف هذا؟؟

هل يُصَدِّقُ مُسْلمٌ في هذا الكوكب الأرضي أن الرسول يريد غير ما يشاء الله؟؟

وهل كان قلبُ الرسول يوماً إلاَّ وَكراً لإرادة ومشيئة الله؟؟

ماذا يقول علماء وأدباء المسلمين؟؟

بل ماذا يقولُ عامَّةُ المسلمين؟؟

ثم انظر كيف تَمَّ الجمع بين وفاة أبي طالب التي وَقَعَتْ قبل الهجرة بثلاثة أعوام، وبين وحشي الذي اغتال الحمزة في غزوة أحد في العام الثالث للهجرة؛ ولم يَدْخل وحشي في الإسلام إلا بعد غزوة الطائف ـ أي أن بين وفاة أبي طالب، وإسلام وحشي إحدى عشرة سنة فقط.

فَتَأَمَّلْ.. واعجب.. واسكر عجباً[1]..

أليس أتباع الهوى.. هو الذي أدَّى ويؤدي إلى هذه النتائج التي تضطرب منها قلوب المؤمنين رُعْباً..؟؟

* * *

حسبنا ما أوردناه من الآيات القرآنيَّة التي زعموا أنها نزلت في أبي طالب.. والتي أظهر البحث أن ذلك الزعم باطل الأباطيل.

نقول: حسبنا لنعود إلى الأحاديث الموضوعة لنقف معها وقفة عقلانيَّة متأنِّية.

أمـام محكمـة العقـل...:

إن ما قدمناه من كتب التاريخ، والحديث عن حياة كل من

(١) وإذا كنت من الذين يتعشقون قراءة الطرائف فاقرأ «تدليل» الله ورسوله لوحشي هذا ليدخل في الإسلام..

قال السيوطي في أسباب نزول آية: ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ الآية، «وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني وأنت تزعم: أن من قتل، أو زنى، أو أشرك، يَلْقَ أثاماً. يضاعف له العذابُ يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً» وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لي من رخصة؟؟ فأنزل الله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ الآية. فقال وحشي: هذا شرط شديد: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ فلعلي لا أقدر على هذا».

فأنزل الله: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة، فلا أدري أيغفر لي ام لا، فهل غير هذا؟؟.

فأنزل الله: ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ الآية، قال وحشي: هذا نعم، فأسلم».

(راجع لباب النقول في أسباب النزول: سورة الزمر ص /١٨٥/، طبعة أولى سنة ١٩٧٨).

ونترك هذا بلا تعليق أيضاً.

المغيـرة وأبي هريـرة، يغنينا عن دراسـة مفصلة لنفسيتيهمـا، وخلقيهمـا، لأن نفسية، وخلق كـل منهما تبـدو على وجهها الفطري، الأصيل، لا يسترها حجاب سياسي ولا تقليد أحمق أورثتنا إياه أهواء وتسلط الحكام.

وإنه ليبهج الحق أن نعقد نقاشاً عقلانياً مع الرجلين: المغيرة وأبي هريرة، حول ما نسباه من أحاديث إلى الرسول عن موت عمه أبي طالب كافراً..

لقد أسلم المغيرة بعد مضي ثمانية أعوام على وفاة أبي طالب وأسلم أبو هريرة بعد تسعة أعوام من وفاته، وبديهي، أن أحداً منهما لم يحضر وفاة أبي طالب... إذاً من أين وصلت إليهما تلك الأحاديث؟؟

ولماذا لم يروها أحد من الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، والزبير... و.. و..؟؟

وهل يمكن أن تتكون قناعة عند مخلوق سوي أن يخص الرسول المغيرة، وأبا هريرة أو غيرهما بأحاديث تشهد على عمه أبي طالب بالكفر، بعد مرور تسعة أعوام على وفاته؟؟

لقد وصف الله رسوله بأنه كان يستحي أن يَنْهَى الذين يدخلون بيته بلا استئذان، منتظرين نضج الطعام، وبعدما يأكلون يظلون في البيت يتحدثون..

كان، صلى الله عليه وآله، يستحي أن ينهاهم عن ذلك، مع أنه كان يؤذيه أذى عميقاً، فأنزل الله الآية التالية: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين

إنـاه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فـإذا طعمتم فانتشـروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق.. ﴾ الآية.

فهل يصدق أحد في هذه البسيطة ما ينسبونه إليه عن عمه أبي طالب، وَعَمُّه هو الذي حَرَّكَ دنيا العرب بشعره داعياً إلى نبوة محمد، وإلى الإسلام، ومحمد هو الذي كان يستحي أن ينهى الناس عن أذاه[1]؟؟.

لقد زعزع أبو طالب جذور الشرك والظلم في قريش حين قال لابن أخيه محمد:

أنـت الـنـبـيُّ مُـحَـمَّـدُ قَـرْمٌ أغـرُّ مُـسَـوَّدُ
مـا زلت تنـطق بـالـصـوا ب، وأنـت طـفـلٌ أمـردُ

ورأت الحواضر، والبوادي شعر أبي طالب يسيح فيها دفقاً من العبير:

ألم تعلمـوا، أنا وجـدنـا محمـداً
نبياً، كموسى، خط في أول الكتب؟؟

وقوله عنه:

نبي، أتـاه، الوحي من عنـد ربه
ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

وقوله:

---

(١) قال أبو سعيد الخدري: «كان رسول الله أشد حياءً من العذراء في خدرها» (راجع صحيح البخاري ـ الجزء الرابع صفحة /٢٣٠/ مطابع الشعب).

منعنا الرسول رسول المليك ـ

ببيض، تلالا، كلمع البروق

أذود، وأحمي، رسول المليك

حماية حامٍ، عليه شفيق[1]

وقوله:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمد

من خير أديان البريَّة دينا

وقوله لملك الحبشة:

تعلم مليك الحبش أن محمداً

نبي كموسى، والمسيح بن مريم

وإنكم تتلونه في كتابكم

بصدق حديث، لا حديث المرجم

ثم يدعو مليك الحبشة إلى الإسلام فيقول له:

فلا تجعلوا لله نِدًّا، وأسلموا

فإن طريقَ الحق ليس بمظلمِ . . الخ

هل يصدق واحدٌ في الأرض أن محمداً يقذف بالكفر من يقول هذا القول؟؟

إن رسول الله محمد يعلم، وكل مسلم يعلم، أن النضال الدائب الذي اصطلى ناره أبو طالب، هو الذي رَبَّى الإسلام،

---

(١) كان المأمون الخليفة العباسي يردد هذين البيتين في مناسبات كثيرة ويقول حين يفرغ من قراءتها: أسلم أبو طالب والله.

وحفظ له حياته، وكتب له البقاء على مَرِّ الدهور.

وإن محمداً صلى الله عليه وآله عاش نضال عمه وتضحياته في الشعب وغير الشعب، وعرفه مؤمناً نقيَّ العقيدة. .

محمد عرف ذلك كله، ولذلك بكى عمه حين رحل عن هذا العالم، وقال له: «لأشفعنَّ لك شفاعةً يتعجب بها الثقلان أعود فأقول: هل يصدق أحد في الدنيا ـ على سعة الدنيا، وامتداد عمر الدنيا، إن محمداً الذي عاش في كنف عمه، وخبر إخلاصه وجهاده في سبيل نشر دعوته الإلّهيَّة، يجيء بعد ثمانية، أو تسعة أعوام، من وفاة عمه ليخص المغيرة، وأبا هريرة، أو غيرهما، بأحاديث تكفر عمه أبا طالب، وعمه، هو الذي كان يُضجع ولده عليًّا في فراشه ليُقْتَلَ، وَيَسْلَمَ محمد[1]؟؟.

* * *

قال ابن سعد في الطبقات: قال رسول الله لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد!! إني أحبك حُبَّين: حبًّا لقرابتك، وحبًّا لما كنت أعلم من حب عمي إياك»[2].

هكذا يتجلَّى حب الرسول صلى الله عليه وآله ووفاؤه لعمه بعد موته: إنه يُحبَّ عقيلاً لأن أبا طالب كان يحبه، فهل ثمة تقدير وحب أسمى من هذا الحب؟؟

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يحب عقيلاً لأن أباه كان يحبه. .

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج. المجلد الثالث المذكور صفحة /٤٦٣/.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ـ المجلد الرابع، صفحة /٤٤/ طبع دار صادر ـ بيروت وغيره.

ترى، هل يحب الرسول رجلاً مات على الشرك؟؟

ماذا يقول الضمير الإسلامي الطاهر؟؟

ولماذا لم يعب معاوية عدوُّ علي عليًّا بكفر أبيه؟؟

لقد عار عليٌّ معاوية بأنه طليق ابن طليق، وأنه هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم، وأن أبا طالب أفضل من أبي سفيان. لنَقْـرَأْ هذا الكتاب الذي بعث به علي عليه السلام إلى معاوية:

«وأما قولك: إنا بنو عبد مناف، فكذلك نحن، ولكن، ليس أميَّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالدغل، ولبئس الخَلَفُ خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم، وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز، وأنعشنا بها الذليل.. الخ»[1].

لو صَحَّ ما قاله واضعو الأحاديث، فكيف يسكت معاوية عن الرد على الإمام؟؟

لماذا لم يقل له ـ بعد هذا التحدي ـ أبي مسلم، وأبوك مات غير مسلم؟؟

نعم، طأطأ معاوية رأسه للتحدي لأنه لا مطعن عنده على أبي طالب.

ثم، لماذا لم تظهر تلك الأحاديث، إلا في عهد معاوية، وبعد غيبة الإمام علي بن أبي طالب؟؟

---

(١) راجع ابن أبي الحديد شرح النهج ـ المجلد الأول، صفحة /٤٨٨/ طبع دار الفكر ـ بيروت ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م.

وبعد، فإننا لو صرفنا النظر عن نفسية الرجلين: المغيرة وأبي هريرة، لكان ما أوردناه كافياً لإثبات اختلاقهما الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله تشهياً لمتاع معاوية..

ومعاويـة يكافئهما فيغمسهما في لعاب دنياه:

لمس معاوية فيما وضعه المغيرة وأبو هريرة من أحاديث[1] سنداً معنوياً فذاً، لسياسته الجاهلية الأموية فدلاهما في بحر من الشهوات التي إليها يطمحون.

ونظر الرجلان كلاهما إلى نفسه، فإذا الأحلام الطائرة في اغتراف الملذات البدنية تتجسد واقعاً عجيباً.. إذا المغيرة والٍ على الكوفة، ينفذ سياسة معاوية.. نقطة.. نقطة ويفعل ما يشاء..

أما أبو هريرة، فقد بنى له معاوية قصراً بالعقيق في المدينة المنورة وأقطعه أرضاً واسعة وزوجه من بسرة بنت غزوان وكان يتولى إمارة المدينة بين حين وآخر. ووفى له معاوية بعد موته: فكتب إلى والي المدينة عتبة ابن أبي سفيان أن يدفع لورثة أبي هريرة عشرة آلاف درهم من بيت مال المسلمين[2]..

مقارنـة خاطفـة، فاضحـــة....:

عبادة بْنُ الصامت أحد النقباء الذين اختارهم رسول الله وأبو ذر الغفاري الذي قال عنه رسول الله: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر، هذان الصحابيان، الجليلان، هذان الكوكبان النيران يطردهما معاوية من دمشق أما حجر بن

---

(١) وغيرهم، ولكن، وقفنا عندهما لأنهما أعلى كعباً عند معاوية من الجميع.

(٢) راجع صفحة /٢٦٤/ من كتاب شيخ المضيرة لمحمود أبو ريّة المصري.

عدي الذي يستوي مع عبادة، وأبي ذر، شرفاً وسمواً، فقد قتله معاوية قتلاً . . ».

معاوية يقتل حجراً، ويطرد أبا ذر، وعبادة بن الصامت من دمشق، في حين يجعل من المغيرة والياً على الكوفة، ومن أبي هريرة والياً على المدينة ويروي دنياهما من أموال المسلمين بصافي المسرات، وهما من عرفنا . .

ترى لماذا فعل معاوية هذا[1]؟؟.

إن التاريخ يعطينا جواباً على هذا السؤال فيقول: إن النقيب عبادة بن الصامت الأنصاري، وأبو ذر الغفاري وحجر بن عدي . . كانوا من المجاهدين، الذين يفخر الجهاد ببطولاتهم جاهدوا لأجل إضاءة الكون بعقائد الإسلام، وتشريعاته وتعاليمه . . وقد ظل الجهاد لهم رفيقاً، بعدما تركوا السيف جهاد تزكية العقول، وتلقيحها بمبادىء الإسلام. لقد أعطوا رسالة السماء حقها شباناً وشيباً، حتى فنوا في ذات الإسلام، قوم هؤلاء هم يغضب عليهم معاوية، فيطرد . . ويقتل، لماذا؟؟ لأن دهاءه، الناعم، المرن، لأن أمواله الجمة، لم تفتح له درباً إلى قلوبهم المؤمنة ليكسبها . . لأنهم أبوا أن ينحرفوا عن مبدأ نبيهم، ومعلمهم الأكبر محمد رسول الله، لذلك فعل معهم ما فعل.

(١) قال الحسن البصري في معاوية: أربع خلال في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة: خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها بغير مشورة منهم، واستخلافه يزيد وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال النبي: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، وقتله حجر بن عدي فيا ويله من حجر وأصحاب حجر» (راجع: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١، ص /٩٩/ ط، بيروت).

أما المغيرة، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، الذين لا سبق لهم إلى الإسلام، ولا جهاد في سبيله.. فقد أقبلوا إلى معاوية واستقاموا له كما شاء فأخذهم أحباباً ملء الأحضان وتقبلهم قبولاً حسناً، وسقاهم من معين الشهوات التي يريدونها نهلاً. وعلاً، ولا عجب في ذلك فالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

صحابيـــان في مختبـــر الإســـــلام:

سلمان الفارسي قدم إلى مدينة الرسول من بلاد فارس، باحثاً عن الجمال الروحاني، فوجده عند نبي الهدى محمد فأسلم. وأبو هريرة جاء في وفد من اليمن مع بعض قـومه فـأسلم. كلاهما: سلمان، وأبو هريرة من أهل الصفة وكلاهما، كان، حين أسلم فقيراً، محروماً كما تروي كتب السيرة، ولكن سلمان رفض مناعم الدنيا حينما سعت إليه بينما سعى أبو هريرة وراء الدنيا، وَأَغْرَقَ نفسه في متاعها. يروي هشام بن حسان عن الحسن فيقول: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه يتصدق به، ويأكل من كسب يده، وكان له عباءة يفرش بعضها، ويلبس بعضها.. وقد ذكر ابن وهب، وابن نافع، أن سلمان لم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر، والشجر وأن رجلاً قال له: ألا أبني لك بيتاً تسكن فيه؟؟

قال: لا حاجة لي، في ذلك.. فما زال به الرجل حتى قال له: أنا أعرف البيت الذي يوافقك.

ـ فصفه لي.

ـ ابني لك بيتاً إذا قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإن مددت به رجليك أصابهما.

قال: نعم.

فبنى له[1].

هكذا يختار سلمان، بعد غياب الرسول حياة نابعة من حياة الرسول.. حياة توائم صفاء روحانيته، فدل، بذلك دلالة قطعيّة أنه من أصحاب رسول الله في الدنيا، والآخرة... وأنه حق ما قال رسول الله فيه: سلمان منا أهل البيت[2].

وأبو هريرة ماذا فعل؟؟

لقد اختار التكسب بما اختلقه من أحاديث عن الرسول فأرضى معاوية، وأرضاه معاوية، فَأَسالَ له اللّذ من المضيرة وأسكنه قصراً فخماً، وكساه الديباج المزرر، وأقطعه الأرض، فكان صاحباً لرسول الله على مَـلْءِ بطنه وصاحباً لمعاوية، على تخمة حواسه، وبطنه.. لشتان ما بين الحياتين، حياة الروح المنزهة عن الرجس التي عاشها سلمان، وحياة شهوات الجسد التي تمرغ فيها أبو هريرة.. سلمان بقي مع رسول الله، وأبو هريرة انضم إلى الفئة

---

(١) راجع صفحة /٣٠٥ و٣٠٦/ من المجلد الرابع من شرح النهج لابن أبي الحديد، ط، ١٩٥٤.

(٢) يقول أحمد أمين المصري في كتابه «فجر الإسلام» صفحة /١٥١/، طبعة عاشرة: كان لسلمان الفارسي علم بديانات مختلفة، ولعل هذا ما عناه علي بن أبي طالب بقوله فيه: من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر وكان بحراً لا ينزف».

الباغية[1] والله أعلم حيث يجعل رسالته.

وإذا كانت وقفتنا مع المغيرة، وأبي هـريرة، ومن تضمـه دائرتهما، قد اتسمت بالقصر، فإن لنا وقفة مثلها مع ابن أبي الحديد المعتزلي المذهب، شارح نهج البلاغة.

يقول ابن أبي الحديد، بعدما أورد حجج الذين يقولون بإيمان أبي طالب.. وحجج الذين يقولون: إنه مات كافراً[2] يقول: أما أنا، فإن الحال ملتبسة عندي، والأخبار متعـارضة والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت؟؟

ويقول أيضاً: وجملة الأمر، أنه قد رويَ في إسلامه أخبار كثيرة، وَرُويَ في موته على دين قومه أخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البينتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين.

ولمـاذا يتوقف ابن أبي الحـديد عن الجـزم بـإيمـان أبي طالب؟؟، لنسمعه يقول مبيناً السبب: إذا تعارضت البينتان عند الحاكم اقتضى التوقفـ

إذاً، فتعارض البينات هو الذي أملى عليه أن يتوقف.. ونحن نقول: إننا لـو أخذنـا بمنطقـه.. لأضعنا قيم جميـع عباقـرة الإنسـانية. أي نبي؟؟ أي مصلح اجتمـاعي؟؟ أي فيلسـوف

(١) الإمامان: الشافعي وأحمد بن حنبل يسميان معاوية ومن معه (أهل البغي). راجع صفحة «٢٥٣» من الجزء الثاني من تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ـ الأزهري، طبع دار الفكر ـ بيروت.

(٢) راجع صفحة /٤٧٢/ من المجلد الثالث من شرح النهج لابن أبي الحديد. ط. ١٩٥٤.

لاهوتي، لم تتعارض فيه أقوال الناس بين مكذب، ومصدق؟؟ اللهم، لا أحد، وهذا برهان ساطع على إسقاط حجة ابن أبي الحديد. .

إن الحاكم النزيه، عندما تتعارض عنده الأقوال في شخصية ما. . يأخذ بدراسة تلك الشخصية، منبتاً، وأخلاقاً، وفكراً وسلوكاً ومبادىء، وعقائد، ومدى توافق تلك الشخصية وانسجامها مع المعارف الفاضلة التي بشرت بها ودعت إليها. . ثم يدرس الأشخاص الذين أدت شهاداتهم إلى خلق التعارض. . والغرض الذي ألزمهم بتلك الشهادة. . ومن هذه الدراسة الواعية يستخلص زَبَدَ الحقيقة، ويقدمه للتاريخ حُكْماً يتلألأ بنور الحق والعدالة. .

هكذا يفعل الحاكم العادل، عندما تتعارض البَيِّنات عنده ولا يفعل كما فعل ابن الحديد الذي رأى التوقف. . .

فإذا سرنا على مبدأ تحقيق دراسة الحاكم النزيه ظهر لنا أن شخصية أبي طالب سنام المحامد. . . فهو، في أقواله وأفعاله، ومنبته ومبادئه كوكب بشري يتوقد صدقاً وإيماناً.

يبقى الأشخاص الذين أدلوا بالشهادات التي تخلق التعارض، إننا إذا درسنا الأشخاص الذين رووا أحاديث عن رسول الله: إن أبا طالب مات كافراً، نراهم ـ وعلى رأسهم المغيرة وأبو هريرة ـ من جنود معاوية. . وقد اعترف ابن أبي الحديد: إن معاوية أمر بوضع أحاديث عن رسول الله تقوي من بنيان سلطانه، وتحط من شأن علي وآل محمد[1].

---

(١) راجع صفحة /٤٧٢/، من المجلد الثالث من شرح النهج، ط، ١٩٥٤.
ويقول الأستاذ محمود الشرقاوي: «وبلغ النفاق بهذا النفر من علماء المسلمين إلى وضع الأحاديث الشريفة في مدح بني أمية، وذم بني أبي طالب ثم يقول: =

وقد رأينا فيما مضى من هو المغيرة، ومن هو أبو هريرة، وأوضحنا أن جميع الذين اتهموا أبا طالب بالكفر، إنما كانوا مرتزقة يختلقون الأحاديث تقرباً إلى معاوية، ليطعموا من عسيلة دنياه.

أما إذا أخذنا بدراسة الأشخاص الذين شهدوا بإيمان أبي طالب فإننا نراهم يتفيأون ظلال سدرة المنتهى: خلقاً وصدقاً وإيماناً..

إننا نرى على رأسهم: رسول الله وعلياً وأبا بكر.. و.. و..

فبأي الشهادات نأخذ؟؟

أنأخذ بشهادة: المغيرة، وأبي هريرة، وشرذمتهما.. أم نأخذ بشهادة رسول الله وعلي وأبي بكر؟؟

ترى، هل غابت هذه الحقائق عن ابن أبي الحديد عندما اعتمد التوقف؟؟ أم كان يرمي إلى التشكيك، والمغالطة، لأمر خفي، لا نعلمه... في الواقع، إنه لا يهمنا إذا كان عمله تشكيكاً، أو مغالطة، أو تقصيراً في الدراسة، بعدما أثبتنا أن حجته داحضة، ساقطة أما، وقد عرضنا شيئاً من «بضاعة» مرتزقة معاوية، في أبي طالب، فإن عدالة البحث تفرض علينا، أن نقدم ما قاله أنصار الله في أبي طالب، نأخذ ذلك عن ابن أبي الحديد نفسه.

قال رسول الله: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة (وأشار

= وهكذا كثرت الأحاديث الموضوعة».

راجع: علي إمام المتقين ـ الجزء الثاني، ص /٢٣٢/

الناشر: مكتبة غريب ـ مصر

بإصبعيه السبابة والوسطى)، يريد بذلك عمه أبا طالب الذي كفله يتيماً[1].

وقال علي: ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا[2].

وجاء في مجلة «نهج الإسلام» التي تصدرها وزارة أوقاف دمشق عدد /٢٢/ ص /١٠٠/ العام ١٩٨٥ أن علياً قال: كان والله أبو طالب عبدمناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش» اهـ.

وقال الخليفة الأول أبو بكر الصديق للرسول حينما جلب والده أبا قحافة ليدخل في الإسلام: أما والذي بعثك بالحق، لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام والدي التمس بذلك قرة عينك[3].

ويقول القاضي عياض الأندلسي في كتابه «الشفا»: «وروي عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله[4]، والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقرَّ لعيني من إسلامه - يعني أباه أبا قحافة - وذلك أن إسلام أبي طالب كان أَقَرَّ[5] لعينك»[6].

---

(١) راجع صفحة /٤٦٦/، من المجلد الثالث من شرح النهج، ط، ١٩٥٤.

(٢) راجع صفحة /٤٦٥/ من المصدر السابق.

(٣) راجع المصدر السابق نفسه.

(٤) قال محققو الكتاب: لما أسلم والده أبو قحافة، كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر.

(٥) أقر من القر وهو البرد لأن دمع السرور بارد، ودمع الحزن حار، أو من القرار، وهو الثبات، لأن العين إذا رأت ما يسرها سكنت.

(٦) راجع - الشفا - الجزء الثاني، صفحة /٥٠/ تحقيق فئة من الأساتذة - إصدار مكتبة الفارابي - ومؤسسة علوم القرآن - دمشق.

وأورد العلامة الشيخ سليمان القندوزي ـ الحنفي المذهب في الجزء الأول من كتابه ينابع المودة (الباب الثاني والخمسون)[1] عن أبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي صاحب كتاب البيان والتبيين ما يلي:

«قال الجاحظ: «إن الخصومات نقَّصت العقول السليمة، وأفسدت الأخلاق الحسنة من المنازعة في فضل أهل البيت على غيرهم فالواجبُ علينا طلب الحق واتِّباعه، وطلب مراد الله في كتابه، وترك التعصب والهوى، وطرد تقليد السلف، والأساتيذ، والآباء، واعلم أن الله لو أراد أن يسوِّي بين بني هاشم وبين الناس لما اختصهم بسهم ذوي القربى، ولما قال: «وأنذر عشيرتك الأقربين» وقال: «وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون».

فإذا كان لقومه ما ليس لغيرهم، فكلٌّ من كان أقربَ إلى النبي كان أرفع قدراً؛ ولو سوَّاهم الله بالناس لما حَرَّم عليهم الصدقة، وما هذا التحريم إلا لكرامتهم على الله وطهارتهم؛ ولهذا قال علي عليه السلام على منبر الجماعة: «لا يقاس بنا أحدٌ من الناس».

وَمَنْ يقاس بقومٍ منهم رسول الله صلى الله عليه وآله، والأطيبان: علي وفاطمة، والسبطان: الحسن والحسين؛ والشهيدان: أَسَدُ الله حمزة وذو الجناحين جعفر؛ وسيد الوادي ومطعم الطير: عبد المطلب، وساقي الحجاج عباس، وحامي حمى النبي، ومعينه، ومحبه أشد حب، وكفيله، ومربيه، والمقر

(١) راجع صفحة /١٥١/ منشورات الأعلمي ـ بيروت.

بنبوته، والمعترف برسالته، والمنشد في مناقبه أبياتاً كثيرة شيخ قريش أبو طالب» اهـ.

وسئل علي بن الحسين (زين العابدين) عما نسبه مختلقو الأحاديث عن موت أبي طالب على الكفر فقال:

وا عجباً!!! إن الله تعالى نهى رسول الله أن يقر مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد، من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات[1].

وسئل الإمام الباقر عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من النار، فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح ايمانه[2].

وقال الإمام الصادق: «إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف، أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين»[3].

وقرأ أبان بن محمود ـ وهو شيعي ـ الأخبار التي وضعها «مرتزقة معاوية» عن أبي طالب، فهاله ذلك، فكتب إلى الإمام علي الرضا: جعلت فداك، إني شككت في إيمان أبي طالب.

فكتب إليه الإمام الرضا:

---

(١) هذه حجة مصدرها التشريع الإسلامي، يقول عبد العزيز سيد الأهل في كتابه «أبو طالب عم النبي»، في الصفحة /٩٥/ وحرم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمشرك على المسلمة ـ الكتاب طبع القاهرة.

(٢) راجع صفحة /٤٦٥/ من المجلد الثالث من شرح النهج.

(٣) راجع البحراني: البرهان في تفسير القرآن: النساء آية (١٧).

﴿وَمَنْ يشاققِ الرسول بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى ونُصْله جهنم وساءت مصيراً﴾.

وكتب إليه بعد الآية: «إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»[1].

وقال ابن تيمية: «إنَّ ما يروونه عن علي: أن أعرابيًّا صلّى، ونقر صلاته، فقال علي: لا تنقر صلاتك.

فقال الأعرابي: «لو نقرها أبوك لما دخل النار»، هذا كذب[2].

وقال صاحب «البيان» في تفسير القرآن: «لقد آسى أبو طالب رسول الله وذبَّ عنه ما دام حيًّا، فالأصح أنه من الذين هداهم اللّهُ للإيمان كما سبق في المجلد الأول»[3].

ويروي العلّامة الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب في الجزء الثاني من كتابه (ينابيع المودة) أنَّ العباس بن عبد المطلب قال: «لما ولدت فاطمة بنت أسد عليًّا سَمَّتْهُ باسم أبيها «أسد»، ولم يَرْضَ أبو طالب هذا الاسم، فقال: «هَلُمَّ حتى نَعْلوَ أبا قبيس ليلاً وندعو خالقَ الخضراء لعله ينبئنا باسمه.

فلما أمسيا خرجا، وصعدا أبا قبيس، ودعوا الله تعالى، فأنشأ أبو طالب شعراً:

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج المذكور، المجلد الثالث صفحة /٤٦٥/.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى ـ المجلد الثاني، صفحة /٢٣٣/ طبع دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) راجع روح البيان في تفسير القرآن ـ سورة يوسف الآية /٥٤/.

يـا رب هـذا الْغَسَـقِ الـدجـيِّ
والـفـلق الـمـنـبلج الـمـضـيِّ
بَـيِّنْ لـنـا من أمـرك الـمـقـضـيِّ
بـمـا نُـسَـمِّـي ذلـك الـصـبـيِّ

فإذا خَشْخَشَةٌ من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوحٌ مِثْلُ زبرجد أخضر فيه أربعة أَسْطُر، فأخذه بكلتا يديه، وَضَمَّهُ إلى صدره ضمّاً شديداً فإذا مكتوب:

خُـصِـصْـتُـمـا بـالـولـد الـذكـيِّ
والـطاهـر الـمـنـتـجَـبِ الـرضـيِّ
واسـمُـهُ مـن قـاهـرٍ عـلـيٍّ
عـلـيُّ، مَـشْـتَـقٌّ مـن الـعـلـيِّ

فَسُرَّ أبو طالب سروراً عظيماً، وَخَرَّ ساجداً لله تبارك وتعالى، وَعَقَّ بعَشْرٍ من الإبل وكان اللوح مُعَلَّقاً في بيت الله الحرام يفخرُ به بنو هاشم على قريش، حتى غلب الحجاجُ «ابن الزبير» اهـ[1].

وعلمـاء محققـون قالـوا صـوابـاً:

قرأ العلامة «البرزنجي» وصية أبي طالب الأخيرة لقريش التي قال فيها: «دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاةً والله لا يسلك سبيله أحد إلاَّ رشد، ولا يأخذ أحَدٌ بهديه إلا سعد».

وقرأ وصيتَه لبني هاشم التي جاء فيها: «يا معشر بني هاشم،

(١) راجع الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المذهب ينابيع المودة، الجزء الثاني (باب المودة الثَّامنة في أنَّ رسول الله وعليًّا من نور واحد) صفحة /٧٩ ـ ٨٠/، منشورات الأعلمي ـ بيروت.

أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا».

فقال: «بعيدٌ جدّاً أن يعرف الرشاد في إتباعه، ويأمر غيره بذلك، ثم يتركه هو»(١).

مفتـــي الشافعيـــة فــي مكـــة:

ويُعَلِّقُ مفتي الشافعية بمكة المكرمة على كلمات البرزنجي فيقول: «هذا المسلك الذي سلكه العلاَّمة السيد محمد بن رسول البرزنجي في نجاة أبي طالب، لم يسبقه إليه أحد، فجزاه الله أفضل الجزاء، ومسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كُلُّ من كان مُتّصفاً بالإنصاف من أهل الإيمان، لأنه ليس فيه إبطال شيء من النصوص، ولا تضعيفٌ لها، وغايةُ ما فيه أنه حملها على معانٍ مُستحسنة يزول بها الإشكال، ويرتفع الجدال، ويحصل بذلك قرة عين النبي، والسلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه فإن ذلك يؤذي النبي، وقد قال الله تعالى: ﴿ إن الذين

---

(١) روى أنس بن مالك أن أعرابياً جاء الرسول يشكو جدب بلاده بسبب قلة المطر، فدعا الرسول ربه فقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سمحاً» فأنزل الله الغيث.. فقال: «لله در أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه من ينشدنا شعره؟؟

فقال علي: كأنك أردت قوله:

وأبـيض يـسـتـسـقي الـغـمـام بـوجـهـه
ثـمـال الـيـتـامى عـصـمـة لـلأرامـلِ

قال: نعم»، فأنشده علي أبياتاً من القصيدة، ورسول الله يستغفر لأبي طالب، ويعلق «البرزنجي» على فرح الرسول بشعر أبي طالب قائلاً: «وما ذلك إلا لسر وقر في قلبه من تصديقه بنبوته وعلمه بكمالاته» (راجع الماوردي: أعلام النبوة، ص /٧٧/ + أسنى المطالب، ص /١٥/ والسيوطي: شواهد المغني، ص /١٣٦/.

يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً أليماً ﴾. وقال تعالى: ﴿ والذين يؤذون الله ورسوله لهم عذاب أليم ﴾[1].

والإمـام أحمـد الموصلي الحنفي المذهب يقـول:

أما الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المذهب المعروف بابن وحشي فإنه يقول: «إن مبغض أبي طالب كافر»[2].

والإمـام الجهـوري والتلمسانـي يقـولان:

وقال العلامة الإمام علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته، وكلاهما مالكي المذهب، قالا: «لا ينبغي ذكر أبي طالب إلا بحماية النبي، لأنه حماه ونصره بقوله وفعله؛ وفي ذكره بمكروه أَذِيَّةٌ للنبي، ومؤذي النبي كافر، والكافر يُقْتَلُ، وقال أبو الطاهر: من أَبْغَضَ أبا طالب فهو كافر»[3].

أبو طالب يكتم إيمانه

وقال الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي:

«على أن أبا طالب كتم إسلامه إيثاراً للسلامة، ولكيلا يصطدم بشراسة الملأ من قريش»[4].

---

(١) راجع أسنى المطالب ص /٣٣/.

(٢) راجع شرح الموصلي على الكتاب المسمى شهاب الأخبار لمحمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤).

(٣) راجع فتاوى الأجهوري والتلمساني في حاشيته على كتاب الشفاء + الغدير للأميني، الجزء السابع المذكور، ص /٣٨١/. أقول: قال هؤلاء العلماء ما قالوا في أبي طالب فكيف لو أدركوا يقيناً أن الأحاديث التي قرؤوها عن أبي طالب موضوعة لأغراض سياسية..

(٤) راجع الجزء الأول من كتابه (علي إمام المتقين) ص /١٥/ طبع مصر ـ مكتبة غريب.

ومــع ابــن أبــي الحديــد ثانيــة:

نكتفي بما قدمناه عن إسلام أبي طالب وإيمانه، من حقائق مكتنزة بالنقل.. و هدى العقل.. لننصرف إلى تسجيل سقطة ثانية على ابن أبي الحديد، وهذه السقطة الفاحشة هي: أنه يثبت الكفر على آباء الرسول صلى الله عليه وآله لِنُصْغِ إليه يقول: «نقل الناس كافَّةً عن رسول الله أنه قال: «نُقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية فَوَجَبَ بهذا أن يكون آباؤه كلهم مُنَزَّهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين.. الخ».

هذه الحُجَّة أوردها عن الذين يعتقدون بإيمان آباء الرسول؛ ولكن ابن أبي الحديد يرى هذه الحجة خطأً صافياً، لذا يرد عليهم فيقول: «إن المراد من قوله: نُقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، تنزيه آبائه وأمهاته عن السفاح لا غير».

ذلك هو حكم ابن أبي الحديد، ونحن نقول له: إن للرسول حديثاً آخر يثبت أنه لم يخرج من سفاح، قال صلى الله عليه وآله: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح».

وهذا يلزم، حكماً، أن يكون معنى قول الرسول: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية: إن آباءه، وأمهاته، منزهون عن الشرك.. وإنه ليغنينا، عن التنقيب، والاستقراء لبيان فساد حكم ابن أبي الحديد، البحث الموضوعي الذي كتبه السيد عبد الرحمن الجزيري، صاحب كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، في هذا الشأن، لأنه يعتبر رداً قاطعاً على ابن أبي الحديد وغيره.

قال: إن أجداد النبي كانوا مسلمين، لا مشركين، لأنهم كانوا يعبدون الله على شريعة إبراهيم، وليس نقل هذا القول مقصوراً على الرافضة. فقط، كما نقله بعض الفقهاء، عن أبي حيان، في تفسير قوله تعالى: وتقلبك في الساجدين، وعلى فرض نقله عنهم وحدهم، فإنه لا يضر بالموضوع، لأنهم نقلوا مسألة تاريخية يؤيدها العقل، والمنطق السليم..

ثم تابع يقول:

ويدل لذلك، ما ورد من أن نور النبي، كان ينتقل في الأصلاب، والأرحام الطاهرة، حتى وصل إلى عبد الله، وآمنة، وقد نص الله تعالى على أن الشرك نجس، قال الله تعالى: ﴿إنما المشركون نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام﴾، فكيف ينتقل نور النبوة في الأصلاب التي حكم الله أنها نجسة كنجاسة الخنزير؟؟

ويمضي في تحليله الرائع فيقول: ومما يوجب العجب قول بعضهم: إن أبوي النبي ماتا على الكفر، وفي الوقت نفسه يذكرون: أن آمنة كانت تحوطها الملائكة الكرام، وكان يرى نور النبوة في جبهة عبد الله إلى آخر ما ذكروه.. ثم يتساءل فيقول: فهل المشرك النجس تزفه الملائكة، وتخالطه الأرواح الطاهرة، ويرى من إرهاصات النبوة ما يفيد أنه أقرب المقربين إلى ربه؟؟

ثم يتحدث عن جده عبد المطلب فيقول: انظر ما روي عن جده عبد المطلب، وهو يضرع إلى الله، ويستغيث به من أصحاب الفيل حيث يقول:

لا هُمَّ!! إن المرء يمنع رحله، فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب، وعابديه، اليوم، آلك

ثم تساءل: فهل هذا الكلام، كلام وثني يعبد الصنم؟؟ أو كلام مخلص لربه؟؟

وبعدما يتكلم عن عصر الفترة، وأجداد النبي يخلص إلى القول: وبعد: فلم يثبت أن آباء النبي كانوا مشركين، بل ثبت أنهم كانوا موحدين، فهم أطهار مقربون، ولا يجوز أن يقال: إن أبوي النبي كافران على أي حال، بل هما في أعلى فراديس الجنان[1].

* * *

يرى السيد الجزيري في قول عبد المطلب:

لا هم!! إن المرء يمنع رحله، فامنع رحالك

كلام موحد، مخلص لربه، وهذا، حق، وصدق.

ولكن بصيرة ابن أبي الحديد، وغيره من «أبطال ورثة التعصب الأموي» تعشى عن رؤية الإيمان في قول أبي طالب:

ألم تعلموا، أنا وجدنا محمداً
نبياً كموسى، خط في أول الكتب؟؟

ولا في قوله:

فخير بني هاشم أحمدٌ
رسولُ الإله على فترةِ

(١) راجع من الصفحة /٢٠٨/ إلى الصفحة /٢١٣/ من المجلد الرابع، آخر باب النكاح، من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري.

ولا في قوله المتوهج بحرارة الإسلام والإيمان:

يـا شـاهـد الله، عليَّ فـاشهـد
إني على ديـن النـبي أحـمـد[1]

ولا في قوله لأخيه الحمزة يوصيه:

فصبراً، أبا يعلى، على دين أحمد
وكن مظهراً للدين، وفقت صابرا[2]
وحط من أتى بالحق من عند ربه
بصدق، وعزم، لا تكن، حمز، كافرا
فقد سَرَّني، إذ قلت: إنك مؤمن
فكن لـرسول الله، في الله ناصرا
وبـاد قـريشـاً، بـالـذي قـد أتيتـه
جهاراً، وقل: ما كان أحمد ساحرا

ولا في قوله:

لقـد أكـرم الله النـبي مـحمـداً
فأكرم خلق الله في النـاس أحمد
فَـشَـقَّ لـه من اسـمـه ليُـجِـلَّه
فـذو العرش محمود، وهذا مُحمد[3]

---

(١) يملأ ابن أبي الحديد سبع عشرة صفحة من المجلد الثالث من شرح النهج من صفحة /٤٥٧/ إلى /٤٧٤/ من شعر أبي طالب، وما من قصيدة مما نقله إلا تظهر إيمان أبي طالب بأجلى بيان.

(٢) أبو يعلى كنية الحمزة.

(٣) وقد ضمن حَسَّانُ بن ثابت البيت الثاني قال: =

ولا في قول أبي طالب عندما خطب خديجة لمحمد: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل[1] ولا في قوله بعدما تمت الخطوبة: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. ولا.. ولا.. الخ.

ألا ما أبعد المسافة بين الذهنية المتحررة من تراث الخرافة والموضوعية الرزينة التي يطلع بهما الجزيري على القارىء، وبين الحكم المهلهل المدحور الذي يفاجئه به ابن أبي الحديد، والمتعصبون لمرتزقة معاوية ومن شاكلهم.. ويجب أن لا نغفل عن ذكر نقطة جوهرية في الموضوع هي: أن حديث الرسول نقلنا من الأصلاب الطاهرة، إلى الأرحام الزكية يشمل أبا طالب كما يشمل عبد الله والد محمد رسول الله، لأنهما شقيقان من أب واحد هو: عبد المطلب، وأم واحدة هي فاطمة بنت عمر المخزومية، فأبو طالب مؤمن جوهراً، ومسلم ذاتاً إنه نور، على نور.

والآن، وقد انتهى بنا المطاف إلى نقطة الختام نتساءل: هل كنا متحيزين في دراستنا؟؟

على هذا السؤال نجيب فنقول لا، لأننا أشرنا إلى المصادر

= ألم تر أن الله أرسل عبده
بآياته والله أعلى وأمجدَ
«فشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود، وهذا محمد»

(١) راجع صفحة ١٥، من كتاب أبو طالب عم النبي، لعبد العزيز سيد الأهل.

الموثوقة التي أخذنا عنها بالدقة التامة، ولأننا نؤمن أن التحيز الفاسد، لا يحي حقاً، ولا يميت باطلاً..

ونتساءل ثانية فنقول: ماذا أثبتت لنا هذه الدراسة؟؟

قبل الجواب على هذا السؤال نلخص ما مر معنا في كلمات قلائل فنقول: لقد أثبتت هذه الدراسة ما يأتي:

١ ـ إن شعر أبي طالب يدل قطعاً على أنه كان مؤمناً بنبوة محمد، وأنه كان يدعو الناس إلى الإيمان بتلك النبوة، وأنه لقي في سبيل تربية رسول الله، ونصرته... وحماية الإسلام خلال اثنين وأربعين عاماً أعظم ما يمكن أن يلقي مؤمن في سبيل عقيدته، وما كان أبو طالب ليتحمل من الآلام ما تحمل لولا إيمانه الصميم بأن ابن أخيه محمد رسول الله.

٢ ـ تبين لنا أن الذين وضعوا الأحاديث في تكفير أبي طالب إنما وضعوها إرضاءً لمعاوية، وطمعاً في خيرات دنياه، وقد جازاهم على صنيعهم فصب عليهم النعيم صباً كما رأينا.

٣ ـ وأوضح لنا العقل من النقاش الذي أجريناه حول واضعي الأحاديث أنهم قد افتروا على رسول الله، وعلى أبي طالب.

٤ ـ وأبان لنا النقل: أن رسول الله، وأبا بكر، وعلياً، والأئمة من آل محمد شهدوا لأبي طالب ليس في الإسلام فقط بل شهدوا أنه من أهل الفردوس الأعلى.

٥ ـ المسلمون مجمعون على صحة شعر أبي طالب في الرسول، ونبوة الرسول، ودفاعه عن الإسلام، كما كانوا مجمعين على

إيمانه، قبل أن تسود أمية بشخص معاوية.

بعد هذا، نجيب على السؤال فنقول: إن هذه الدراسة ـ على صغرها ـ أظهرت أبا طالب على حقيقته عملاق الإسلام الذي لولا إيمانه، وجهاده، وصبره، لما انتصر الإسلام، ولا كان الإسلام، إلا أن يشاء الله، فصلاة الله وسلامه على أبي طالب سيد البطحاء، وعملاق الإسلام الخالد.

دراسات في كتاب أبي طالب

ما إن استقرت الطبعة الأولى من كتاب «أبو طالب عملاق الإسلام الخالد» بين أيدي القراء، حتى كتب إلينا كثير من العلماء والأدباء كلمات ضافيات في تقييم الكتاب، نقدمها للقراء عملاً بقوله تعالى: ﴿ وأما بنعمة ربِّك فَحَدِّثْ ﴾.

* * *

جاءنا من سماحة العلامة الدكتور عبد الرسول الأحقافي ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابدع حقايق الممكنات من انوار آثار مشيئته، واخترع اعيان
الموجودات من اشعة مظاهر ارادته، وصوّر حدود الماهيات على هياكل
ما اختاروه عند اجابة دعوته. ثمّ امضى عليهم بما قضى اظهاراً لسعة رحمته واكمالاً
لتمام نعمته. وصلّى الله على خير خلقه واشرف بريته الذي جعل جوهر عبوديته كنهاً
لمقام ربوبيته. وخلق ربوبيات عوالم الانوار من اسفل مراتب عبوديته، وعلى آله
واهل بيته الذين علّاهم بتعليته وسمى بهم الى رتبته ائمة الهدى ومصابيح الدجى
واعلام التقى وذوي النهى واولي الحجى وكهف الورى، الذين جعلهم الله محالّ مشيئته
والسنة ارادته ومعادن علمه وحكمته ومخازن سرّه ورسالته وآيات معرفته وحفاظ
شيعته وشريعته الذين كانوا انواراً في الاصلاب الشامخة الموحدة والارحام المطهّرة
المؤمنة. ولعنة الله على اعدائهم ومخالفيهم ومبغضيهم ومنكريهم ومنكري
فضائلهم ومناقبهم وغاصبي حقوقهم من الآن الى يوم الدين.

اما بعد فكم من جناية ارتكبتها ايدي الائمة في تواريخهم باتهام الازكياء
وتزكية المجرمين اما خوفاً من سطوة السلاطين او طمعاً في دنياهم

وكان اول مظلوم في الاسلام قد رمي بالكفر والشرك رغم ايمانه هو شيخ البطحاء
ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف، اوّل المجاهدين في سبيل الله
واوّل الناصرين لدين الله، وقد اظهر رضوان الله عليه الاسلام واعترف بنبوة
ابن اخيه محمّد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قولاً وفعلاً شعراً ونثراً مما لا مزيد
عليه ولم يبق في اسلامه وايمانه عند من تدبّر وانصف شك ولا ريب.

وهو ذلك المجاهد الباسل الذي اجتهد بكل قواه في حفظ النبي الكريم وثبت
واستقام في قوله ربي الله وبذل ما في وسعه في نشر دينه العظيم بنفسه واولاده
وقد كاد حب الله ورسوله يتفجر من جوانبه ونواحيه.

فلم ينكر اسلامه الا معاوية بن ابي سفيان حيث انفق في وضع الاحاديث الكاذبة

وعليه وعلى نجله الامام علي امير المؤمنين عليه السلام وهدم بناء الاسلام من بيت مال
المسلمين ما ملأ التواريخ والصحاح، وتبعه من تبعه عالماً عامداً او جاهلاً غافلاً، وارادوا
بذلك اطفاء نور الله (والله متم نوره ولو كره الكافرون)

ومن جملة الاكاذيب الموضوعة على ابي طالب رواية سعد بن مسيب في شأن نزول الآية الشريفة
(ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ... الى آخرها) حيث خص بها مؤمن قريش
قال ابن ابي الحديد المعتزلي (وهو (سعد بن مسيب) من اعداء علي ع وانه من القالين له ـ
المائلين في المبغضين له) الى آخر ما قال كما جاء في الغدير وغيره من الكتب .

كيف وقد آمن ابو طالب بنبوة الرسول الاعظم ص قبل اظهار نبوته باخبار من بحيرا الراهب و
قصته مشهورة . وكان قبل ذلك ايضاً موحداً حنيفياً كابيه عبد المطلب وجده هاشم
وسائر اجداده الموحدين . ولولا انكار اعداء الدين اسلامه واصرارهم في شركه عناداً للحق و
بغضاً منهم لولده امير المؤمنين عليه السلام لما احتيج الى تأليف الكتب والرسائل وطبعها و
نشرها في اثبات ايمانه ابداً .

هذا وقد ألفت وصنفت في الدفاع عن هذا المظلوم كتب قيمة مفصلة ومختصرة تحفة
حجة للحاسدين وجهاداً في سبيل رب العالمين وخدمة للمذهب والدين.

ولكن جاء كتاب (ابو طالب عملاق الاسلام) الذي الفه المؤرخ الكبير والعالم الخبير
والمتتبع البصير العلامة الاستاذ الشيخ محمد علي اسير دامت بركاته مرغوباً مطلوباً.
قد امتاز ببياناته الرائعة وتعابيره البالغة واسلوبه البديع . ونظامه المنيع وادلته
القاطعة وبراهينه الساطعة . فجزاه الله عن ابي طالب وايمانه وعن الاسلام
واعوانه خير جزاء المحسنين ووفقه لتأليف امثاله ولكل ما يحب ويرضى . آمين
بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

الاحقر

خادم الشريعة الغراء و ـ
ميرزا عبد الرسول الاحقاقي .

٦ ربيع الاول ١٣٩٦
٧ مارس ١٩٧٦

وبعث إلينا الأديب العربي النابه الأستاذ بهجت منصور بالكلمة التالية:

حوادث... ومشاهد... تكشف عن مواقف العزة والرجولة... عندما ترتفع هذه إلى مستوى البطولة...

حوادث... ومشاهد... ترى من خلالها ثبات وصمود الرجال الأوفياء في الذود عن الحق... عن الحرية... وعن الأمانة مأخوذين بروعة هذه القيم ومدفوعين بحكم الواجب الذي عاهدوا أنفسهم على أن يُتموه... وإن في إتمام الواجب تتجلى عظمة الإنسان...

حوادث... ومشاهد... ومئة حوار... وحوار... ينقلها إليك... ويصوّرها لك... ويحدثك عنها الأستاذ محمد علي أسبر في كتابه ـ أبو طالب... عملاق الإسلام الخالد... ـ ويجلو زاويةً من زوايا تاريخ الرسالة النبوية ويزيدك تقديراً لسيد قريش... وإعجاباً بأبي طالب... هذا الذي صَمَدَ وحامى حتّى أتمّ الواجب...

ـ ٢ ـ

أربعة عشر قرناً مرّت على هذه الحوادث... وعلى هذا الصراع الذي اندلع بين القبائل العربية التي اختزنت في صدرها حقائق وخرافات... وآلهةً وآلهات... ديناً وثنياً قديماً... وبين أنصار دين سماوي جديد...

ولكن على أبعاد هذه القرون فإنك تنظر إلى مكة من خلال هذا الكتاب... فإذا بالقلم المطلع النيّر يسلط أضواءه على عدد من شيوخ مكة ورجالاتها فيسمعك أقوالهم... ويرسم لك مواقفهم... وينقل

إليك آراءهم . . . ويريك مكة ميداناً يُصارع فيه الإيمانُ بالله محبةً . . . ورهبةً . . . واطمئناناً روحياً . . . الإيمانَ بالأوثان . . . تقليداً . . . ومصلحةً . . . وحكم وراثة . . . واستعباد أزمان . . .

هي أزمان تجري . . . وفي تيّارها يجري الأحياء . . . وهم قد أنفوا أن يبدلوا فيما ورثوا . . . وفيما هم عليه سائرون . . . وعن الأفضل والأجمل غافلون . . . إنهم أسرى القديم . . . وفي القديم قداسة . . . على ما يزعمون . . .

– ٣ –

وانظر إلى مكة . . . إلى هذا الميدان . . .

ها هي قريش قد وقفت في أحد أطرافه . . . تخوض غماره . . . وإلى جانبها وقفت قبائل وشيوخ وقد جمحت بها الوثنية . . . وعصفت بها القبلية . . . واستحكمت بها الثارات الهوجاء والخلافات الدموية . . . وسطا على الشيوخ ما تأصل في نفوسهم من اليقين اللاهب في الإرث الوثني والعقيدة العمياء . . . واستولت على بصائرهم المصالح والأهواء . . .

وانظر . . . فإنك ترى في الطرف الآخر من الميدان . . . أصحاب النبي العربي الكريم وقد تجمعوا حوله . . . وقد لبّوا النداء . . . مأخوذين بالدعوة الجديدة . . . بآيات الوحي وأقوال السماء . . .

وفي هذه الحوادث القاصفة . . . والأجواء العاصفة . . . التي راحت تهز الجزيرة العربية ديناً وفكراً وروحاً ونظاماً وتشريعاً . . .

في هذه الأجواء التي راحت فيها الجزيرة تستفيق على خطوات النبوة الصاعدة . . .

وفي هذا الصراع الذي يصيح فاصلاً بين الأزمان . . . ويشرق بعده دين جديد من الأديان . . .

وعلى مدى هذا المفترق التاريخي . . . يبرز الحكيم العملاق الذي اعتاد على تحدي العواصف ورد الغارات . . . وحل الشدائد والأزمات . . . شيخ الرجولة والمروءات . . . يدافع ويحامي ويجاهد . . . إنه أبو طالب . . . عملاق الإسلام الخالد . . .

ـ ٤ ـ

على مدى التاريخ والعصور كان للفكر والحرية والحق والإيمان رجال وأنصار يعرفون أن الحياة مواقف عز . . . ويعرفون أن شأن الأمم يكمن في هذه القيم . . . فكانوا في لهيب المظالم يقفون . . . وعن الفكر والحرية يدافعون . . . وللحقيقة والحق يشهدون . . . وعلى إيمانهم يحرصون . . . إيمان يخلق الأمل والثقة في القلوب وينير لها الدروب . . .

وما أعجب الإيمان . . . هذه القوة الخفية التي تشد العزائم وتستهين بالعظائم . . .

وقد كان أبو طالب بين العرب واحداً من هؤلاء الرجال الأنصار المؤمنين والعمالقة الخالدين . . .

ـ ٥ ـ

إن هذا الكتاب الذي هدف فيه مؤلفه الكاتب الفاضل الأستاذ محمد

علي أسبر إلى تكريم وتأريخ أبي طالب. . . يدعونا أن نكرّم في سيّد قريش موقفه من الرسالة النبوية الجديدة ومن حرية الفكر والعقيدة. . .

ولا بد لنا ونحن في هذا المجال من أن نكرّم أبا طالب في ذكر ابنه الإمام علي لكي يعبق هذا التكريم بالنّد والطيب والبخور. . .

إن الإمام علي وهو واحد من كبار هذا الشرق. . . والشرق لا يزال يغفو على تعاليم الأديان التي اطلعها وأنار بها العالم. . . إن هذا الإمام الأكبر قد خلع على أبيه. . . وعلى العرب. . . وعلى الشرق وهجاً مديد الأبعاد. . . وعديد الألوان. . . وهجاً تألق ولا يزال يتألق. . . وفجّر ينبوعاً فكرياً تدفق ولا يزال يتدفق. . . وأطلق تلك الموجات الروحية. . . وكان صوته صوت العدالة الإنسانية. . . أن هذا الإمام يبقى على مدى الأزمان مثلاً لسمو الفكر وصفاء الوجدان.

طرطوس - بهجت مخائيل منصور

وكتب الأستاذ علي البهادلي في العدد /٧٠٢/ ص /٥٠/ من صوت الخليج الكويتية تحت عنوان: إسلاميات: «صدر حديثاً عن مطابع صوت الخليج كتاب بعنوان: «أبو طالب عملاق الإسلام الخالد» لمؤلِّفِه الأستاذ: محمد علي أسبر ـ من سوريًّا.

وتأتي أهميَّةُ هذا الكتاب من أهمية الموضوع الذي يتناوله بموضوعية وعمق، إذا ما علمنا قلة من كتب في هذا الموضوع بهذا الشمول والاتساع...

ثم يقول: «يبدأ الأستاذ أسبر كتابه بالتعريف بأبي طالب، تحت عنوان: من هو أبو طالب؟؟ فيذكر نسبه والمكان الذي ولد فيه، ومن ثَمَّ يتعرض لمسألةٍ مُهِمَّةٍ في التاريخ الإسلامي ألا وهي: إسلام أبي طالب، فيأتي بالأدلة العقلية والنقليَّة التي تؤكد أن أبا طالب مات مسلماً».

ثم ينقل فقرة طويلة من الكتاب عن عبد المطلب والد أبي طالب ودعائه المستجاب...

ويذكر بعد ذلك وقوف أبي طالب إلى جنب الرسول وحمايته له من سيوف طواغيت قريش...

وينقل من الكتاب عبارات عن مرتزقة معاوية، وإسلام المغيرة... ووضع أبي هريرة أمام محكمة العقل، وأخيراً يقول:

«وبعد فهذا استعراضٌ سريعٌ لكتاب «أبو طالب عملاق الإسلام الخالد»، وهو كتابٌ قَيِّمٌ جديرٌ بالاقتناء والمطالعة».

«تمنياتنا لمؤلفه الأستاذ الفاضل محمد علي أسبر بالتوفيق والنجاح في محاولاتٍ أخرى، وكتاباتٍ جديدة تزيد من رونق المكتبة الإسلامية».

* * *

وكتب إلينا الأستاذ عابد ديب العلي ـ نجل الشيخ ديب «الدقار» :

«اكـتُـبْ تَـبَـاعـاً يـا مُـحَـمَّـدْ
فَـلأنْـتَ بَـيْـنَ الـنـاس فَـرْقَـدْ
«يـا صـاحـبَ الـديـنِ الـقـو
يـمِ ـ وسـالِـكَ الـنَّـهْـجَ الـمـمجَّـدْ
قَـسِّـمْ حـيـاتَـك فـي الـكـتـا
بـةِ، والـهـدايـةِ، والـتَّـعَـبُّـدْ
لـتـفـوزَ فـي بَـرْدِ الـيـقـيـن
، وَبَـعْـدَهُ، تـسـمـو لأَبْـرَدْ»

ثم يقول: «أُحبُّ لك أيها الطاهر المؤمن أن تُكَرِّسَ ما عندك من الوقت، وما لديك من إمكانيات في الكتابة عن رجال الإسلام الخالدين أمثال: أبي طالب، وأبي ذر، والمقداد، والأشتر النخعي، وعمار بن ياسر، و. . و. . و. .».

«إنك تكسب بجهادك هذا رضى الله، وتفوز بذلك فوزاً عظيماً، وتخلد بجوارهم في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» اهـ.

* * *

ووافانا الشيخ علي الخطيب برسالة طويلة استهلها بعد البسملة بقوله:

الحمد لله هادي المهتدين، ومنير قلوب المؤمنين، وصلى الله على محمد وآله أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، والعروة الوثقى.

ثم يتحدث عن مكانة أهل البيت في كتاب الله... وعن علومهم... وأخلاقهم... وأفضالهم...

وأنّهم شَجَرةُ النبوة المباركة، وينتهي إلى الكلام عن عم رسول الله /أبو طالب/، وعن جهاده المر في سبيل الوحي الإلّهي...

ثم يتصدى للأحاديث المفتراة التي وُضعت في موت أبي طالب على الكفر...

ثم يقول: «وهذا ما أهاب بفضيلة الكاتب الأديب، العالم اللبيب، المجتهد، السيد محمد علي أسبر على تأليف هذا السفر القيِّم نُصْرةً للحق، وَقَطْعاً للباطل...».

«نعم ذلك ما دعاه لأن يكتب، فتشرق العدالة بنور كتابته إشراق الكون بنور الشمس، وتأخذ العبقريَّةُ مجراها على لسانه وقلمه نبعاً فيَّاضاً ذاخراً بالحقائق..».

ثم يقول: «تناولتُ هذا الكتاب القيِّمَ أولاً كَتَسْلِيةٍ، ظَنًّا أنه كتابٌ عاديٌّ، وَقَرَأْتُ بَعْضَ صفحاته، متأملاً جمله وما تضمنته من معاني وأصول، فإذا به ضربٌ من السحر جذبني نحوه بشدة هائلة

كجـاذب مغناطيسي، حتى خلت أنـه سحر ببيـانه ـ بـأحقيتـه بصدقه».

«أجل إنه السحر الحلال، وإن من البيان لسحراً».

«وحقاً إنه كتاب صغير الحجم، ولكنه كبير القيمة، خصب الفائدة، قويُّ الحجة، إنه دراسةٌ شاملة لزمن سيد البطحاء». . .

«كل هذا يدل على سعة اطلاع الكاتب، وإن كتابه جديرٌ أن يكتب بماء الذهب، ويُصان في سويداء القلب، وإني أنصح كل من غايته الحق والصدق أن يقتنيَ نسخة من هذا الكتاب».

ويختم رسالته بقوله: «يا أخي الكريم!! أجل الله ثوابك، وجزاك عن الإسلام ونصرته، وسيد البطحاء خير جزاء. . وهنيئاً لك بما وُفِّقْتَ إليه في العاجلة، وما عند الله خير وأبقى»

وأرسل إلينا الشيخ علي أحمد كَتُّوب قصيدةً من خمسة وخمسين بيتاً، ابتدأها بقوله:

لـلّه دَرُّكَ يـا مُـحَـمَّـدْ
والـمـرءُ لـلمـعـروفِ يُـحْـمَـدْ
نـاضـلـت عـن شـيـخ الأبـا
طـح، ليثـهـا، الـعـلم الـمُـسَـوَّد
ولـديـك بُـرْهـانٌ عـظـيـمٌ...
إنـه شَـمْسٌ تَـوَقَّـدْ

وبعدما يذكر أبا طالب وكفالته للرسول... وذوده عنه.. وفناءه في ذات الرسالة السماوية... يقول:

كَـفَـلَ الـيـتـيـمَ فـلم يُـضِـعْـهُ ـ
وَنَـفْـسَـهُ بـالـذَّوْدِ أجْـهَـدْ

ثم يقول:

مـرحـى ابْـنَ أسـبـر مـن أديـب،
قـوسَـه، والـسَّـهْـمَ سَـدَّدْ
الـكـاتـبُ الـلَّبِـنُ الأريـبُ
الـبـاسـلُ، الـعـلوي، مـحـمـد
سَـبَـرَ الـحـقـيـقـة جـاهـداً
كـالـجـد أسـبـر، عـنـه هَـذْهَـدْ
وبـنـى كـمـا تـروي الـمـصـادرُ ـ
سِـفْـرَهُ عـنـهـا، وَشَـيَّـدْ

وأصابَ لم تُخطِئْ روايتُه۔
ولـلأوهام بَدَّدْ
لله ما أبهى، وما أشهى۔
وما أحلى، وأجود
وَأَلَذُّ أن: كشف الغطاء۔
فلاح عبد مناف فرقد
ضَحَّى بما ضَحَّى لوجْه
الله... والعقباتِ مَهَّدْ
في نصرة التاريخ، والعملاقِ،
عملاقاً تَفَرَّدْ
فَلَكَ التَّحايا ما تَغِبُّ۔
من المشوق: علي أحمد

* * *

وأرسل إلينا قصيدة ثانية من حوالي ستين بيتاً جاء فيها عن كتاب //أبو طالب عملاق الإسلام الخالد//:

سِفْرَكم يا أخي قرأتُ بقلبي
بِتَرَوٍّ۔ مَرْحى لكم۔ ولساني
فبكت مُقْلتي، وَسَحَّ يراعي
وعراني من الجوى ما عراني
بارك الله في جهادك في اللّـ
ـهِ۔ جهاداً يُنْجي من النِّيرانِ

* * *

فإلى الإخوة الذين كتبوا لنا عن كتاب /أبو طالب/ ممن أخذنا نتفاً من أقوالهم وممن لم نأخذ تحية حب مُنَضَّرَةٍ بالتقدير، معطرة بالاحترام.

المصــادر

١ ـ بولس سلامة: ملحمة الغدير.

٢ ـ خير الدين الزركلي: الأعلام ـ المجلد الرابع.

٣ ـ الشيخ سليمان القندوزي: ينابيع المودة ـ الجزء الأول.

٤ ـ أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج ـ الجزء الثاني.

٥ ـ دار المشرق: منجد الأعلام.

٦ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح النهج ـ المجلد الثالث والرابع والأول.

٧ ـ أحمد زيني دحلان: أسنى المطالب.

٨ ـ القسطلاني: إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ـ الجزء الثاني.

٩ ـ الشيخ محمد عبده: شرح نهج البلاغة ـ الجزء الثاني.

١٠ ـ الزبيدي: تاج العروس.

١١ ـ عبد العزيز سيد الأهل: أبو طالب عم النبي.

١٢ ـ خالد محمد خالد: في رحاب علي.

١٣ ـ رشيد رضا: مجلة المنار ـ المجلد الثاني عشر.

١٤ ـ الإمام مسلم: صحيح مسلم ـ الجزء الأول، والجزء التاسع.

١٥ ـ ابن حجر: الإصابة في التمييز بين الصحابة ـ الجزء الثاني والسابع.

١٦ - ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب - الجزء الثالث - بهامش الإصابة.
١٧ - ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة.
١٨ - أبو بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء.
١٩ - أحمد رضا المصري: الإمام علي بن أبي طالب.
٢٠ - الشيخ الأميني: الغدير - المجلد الأول.
٢١ - جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية - الجزء الأول.
٢٢ - الحافظ الحسكاني: شواهد التنزيل - الجزء الأول.
٢٣ - ابن ماجه: السنن - الجزء الأول.
٢٤ - الحاكم النيسابوري: المستدرك - الجزء الثالث.
٢٥ - محب الدين الطبري: ذخائر العقبى.
٢٦ - محمد أبو زهرة: الإمام جعفر الصادق.
٢٧ - ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ - الجزء الثالث.
٢٨ - الإمام البخاري: صحيح البخاري - الجزء السادس، والتاسع، والرابع، والثالث.
٢٩ - الثعالبي: اللطائف.
٣٠ - عبد الرحمن عبد الخالق: الشورى في الإسلام.
٣١ - محمود أبو ريّة: شيخ المضيرة.
٣٢ - مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب - الجزء الأول.
٣٣ - العماد الحنبلي: الشذرات.
٣٤ - ابن عبد البر: جامع بيان العلم.
٣٥ - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية - الجزء الأول والثاني.
٣٦ - أحمد أمين: فجر الإسلام.
٣٧ - هاشم البحراني: البرهان في تفسير القرآن.

٣٨ ـ **القاضي عيّاض**: الشفاء ـ الجزء الثاني.
٣٩ ـ **ابن تيمية**: الفتاوى ـ المجلد الثاني.
٤٠ ـ **إسماعيل حقّي**: روح البيان في تفسير القرآن.
٤١ ـ **الماوردي**: أعلام النبوَّة.
٤٢ ـ **السيوطي**: شواهد المغني.
٤٣ ـ **ابن الأثير**: أسد الغابة ـ الجزء الثالث والرابع.
٤٤ ـ **عبد الرحمن الجزيري**: الفقه على المذاهب الأربعة ـ المجلد الرابع.
٤٥ ـ **محمد رشيد رضا**: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده.
٤٦ ـ **بروكلمان المستشرق الألماني**: تاريخ الشعوب الإسلامية.
٤٧ ـ **الشبلنجي الشافعي**: نور الأبصار.
٤٨ ـ **السيوطي**: النقول في أسباب النزول.
٤٩ ـ **محمود الشرقاوي**: عليٌّ إمام المتقين ـ الجزآن الأول والثاني.
٥٠ ـ **ابن عساكر**: تهذيب تاريخ دمشق الكبير ـ الجزء الأول.
٥١ ـ **ابن منظور**: لسان العرب.
٥٢ ـ **الطبرسي**: مجمع البيان في تفسير القرآن الجزآن: السابع والثامن.
٥٣ ـ **وزارة الأعلام الكويتية**: عالم الفكر ـ المجلد الثاني عشر.
٥٤ ـ **المقريزي**: خطط المقريزي ـ الجزء الثاني.
٥٥ ـ **وزارة التربية ـ دمشق**: تاريخ العرب والإسلامي. ط، **١٩٧٥**.
٥٦ ـ **تاريخ أبي الفداء**: تاريخ أبي الفداء ـ الجزء الثاني.
٥٧ ـ **الدنيوري**: المعارف.
٥٨ ـ **الجليلين**: تفسير القرآن.
٥٩ ـ **المسعودي**: مروج الذهب ـ الجزء الثاني.
٦٠ ـ **ابن عبد ربه**: العقد الفريد، الأجزاء: الأول، والثالث، والخامس.

٦١ ـ **ابن سعد**: الطبقات الكبرى، الجزآن: الأول والرابع.
٦٢ ـ **وزارة الأوقاف السورية في دمشق**: مجلة نهج الإسلام ـ السنة السادسة (العدد ٢٢) تشرين الثاني ١٩٨٥.
٦٣ ـ **الثعالبي**: لطائف المعارف.

الفهــرس

من اعمال المؤلف

١ ـ ابو طالب عملاق الاسلام ، طبعة ثانية .... دار الاصالة بيروت
٢ ـ حياتنا وتقاليدنا .... // // //
٣ ـ هل قرات ابا ذر ، طبعة ثانية .... // // //
٤ ـ المقداد بن الاسود الكندي .... // // //
٥ ـ اجداد رسول الله : قصي ـ هاشم ـ وعبد المطلب .... // // //
٦ ـ بطلا العقيدة والجهاد : حمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار // // //
٧ ـ العلأمة الجليل احمد بن زين الدين الاحسائي
«في دائرة الضوء» جزآن .... // // //
٨ ـ الإمام علي في القرآن والسنّة (مجلدان) .... // // //
٩ ـ سلمان المحمدي .... تحت الطبع .
١٠ ـ دراسات عن الإمامين : علي زين العابدين وعلي الرضا .... // //
١١ ـ من عبير الاسلام ، جزآن .... // //
١٢ ـ اهل بيت رسول الله .... في دراسة حديثة .
١٣ ـ سلمان منا اهل البيت ....
١٤ ـ الإمام جعفر بن محمد الصادق ....

شارك المؤلف في تحرير المجلات التالية

١ ـ العرفان .... صيدا ـ بيروت .
٢ ـ البيان .... النجف الاشرف
٣ ـ النهضة .... طرطوس .
٤ ـ مجلة المعلم العربي .... دمشق .
٥ ـ // التمدن الاسلامي .... //
٦ ـ // نهج الاسلام ، تصدرها وزارة الاوقاف .... //
٧ ـ // الثقافة الاسلامية .... //
٨ ـ // // الاسبوعية .... //
٩ ـ جريدة صوت الحق .... اللاذقية .
١٠ ـ // الخبر .... //
١١ ـ // الارشاد .... //